المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

قصيدة " رسالة إلى الصَّحَّاف "

للأستاذ الدكتور "عصمت رضوان" تحليل بلاغي

Poem "A Letter to the Journalist"
by Dr. Esmat Radwan Rhetorical Analysis

✍ بقلم الدكتور

عبد الوهاب عبده أحمد علي

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية

العدد الأول

قصيدة " رسالة إلى الصَّحَّاف "
للأستاذ الدكتور "عصمت رضوان" تحليل بلاغي

عبد الوهاب عبده أحمد علي

قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر الشريف- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : d.elwhab@yahoo.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي سيد المرسلين سيدنا محمد ، صلي الله عليه وعلي آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا البحث يقدم دراسة بلاغية لقصيدة شعرية من ديوان (بغداد صبراً) للشاعر الدكتور/ عصمت رضوان ، وهي بعنوان (رسالة إلى الصحاف) يصور فيها الشاعر أحداث حرب أمريكا وحلفائها علي العراق عام ٢٠٠٣م ، فقمت بدراسةَ هذه القصيدة دراسةً بلاغيةً تكشفُ عن براعةِ الشاعر، وقدرتِه الفائقةِ في التعبيرِ عن هذا الحدث العظيم بكل محتوياته معتمدا علي المنهج التحليلي ، وجاءت الدراسةُ في خمسة مباحث يسبقها تمهيد بذكر ترجمة موجزة عن الشاعر، وذكر نّصِّ القصيدة ، وبيان مناسبتها ، ثم تصنيفها فنيًّا ، وتلا ذلك تقسيم القصيدةِ إلى أربعِ أفكار رئيسة ، تضمُّ كلٌّ فكرةٍ مجموعةً من الأبيات ، ودراستها دراسةً تحليليةً بلاغيةً ، تقوم علي إبراز دور اللطائف البلاغية في الإفصاح عن المعاني المقصودة وذلك في أربعة مباحث ، تلا ذلك الدراسة النقدية للقصيدة في المبحث الأخير، وخُتمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي انتهت إلىها وفهرس للمصادر والمراجع الواردة في البحث ، واللهَ أسأل أنْ يَمْنَحْنِي التوفيقَ والسداد ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الكلمات المفتاحية: رسالة ، الصحاف ، د/عصمت رضوان

Poem "A Letter to the Journalist" by Dr. Esmat Radwan Rhetorical Analysis

Abdel Wahab Abdo Ahmed Ali
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt.
Email: d.elwhab@yahoo.com

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the Master of Messengers, may God bless him and all his family and companions, and after:

This research presents an analytical rhetorical study of a poetic poem from the collection of Baghdad Sabra by the poet Dr. Ismat Radwan, entitled (A Letter to Al-Sahhaf), in which the poet depicts the events of the war of America and its allies on Iraq in 2003 AD. I studied this poem as a rhetorical study that reveals the poet's ingenuity and his superior ability in Expressing this great event with all its contents, relying on the analytical approach. The study consisted of five sections preceded by an introduction by mentioning a brief translation of the poet, and mentioning the text of the poem, and Explaining its appropriateness, then classifying it artistically. This was followed by dividing the poem into four main ideas, each idea containing a group of verses, and studying it in an analytical and rhetorical study, based on highlighting the role of rhetorical subtleties in revealing the intended meanings in four sections. This was followed by the critical study of the poem in The last section, and the study concluded by mentioning the most important results that it reached and an index of the sources and references included in the research. I ask God to grant me success and payment .

Keywords: Message, Journalist, Dr. Esmat Radwan..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علي أشـــرفِ الأَنْبِيَـــاءِ وســـيِّدِ المُرسلين سيدِنَا مُحَمَّد وعَلَي آله وأصْحَابِه الغُرِّ الميامين ، ومَنْ تَبِعهُم بِإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْن ، وبعد:

فَإِنَّ العَالمَ مَلِيءٌ بالأحداثِ والصِّراعَاتِ بَيْن أبناءِ البشريَّةِ ، وإنَّ الأدبَ تصويرٌ حيٌّ لهذه الأحداث وتلك الصِّراعات ، والشِّعْرُ في مقدمة تلك الفنون الأدبية، ومن الأحداث التي استحقت الوقوف عندها حرب أمريكا وحلفائها علي العراق عام ٢٠٠٣م ، وقد أبدع الشُّعَراء في الحديث عنها ، ومن هؤلاء الشاعر، الأستاذ الدكتور/ عصمت رضوان ، في قصيدته "رسالة إلى الصَّحَّاف"، هذه القصيدة التي تُعَدُّ من روائع شعْره في ألفاظها ، وأسإلىبها ، ومعانيها، فهي توضِّح مطامع الغرب ، وتكشف شعاراتهم البرَّاقَةَ الكَاذِبةَ في ادِّعاء الديمقراطية والحرية ، كما تكشفُ خيانةَ بعضِ الأنظمة العربية في مُسَاندةِ الغرب حفاظًا علي بقاء تلك الأنظمة، لهذه الأسباب آثرتُ دراسةَ هذه القصيدة دراسةً بلاغيةً تكشفُ عن براعةِ الشاعر، وقدرتِه الفائقةِ في التعبيرِ عن هذا الحدث العظيم بكل محتوياته معتمدا علي المنهج التحليلي ، وجاءت الدراسةُ في خمسة مباحث يسبقها تمهيد بذكر ترجمة موجزة عن الشاعر، وذكر نّصِّ القصيدة ، وبيان مناسبتها ، ثم تصنيفها فنيًّا ، وتلا ذلك تقسيم القصيدةِ إلى أربعِ أفكار رئيسة ، تضمُّ كلُّ فكرةٍ مجموعةً من الأبيات ، ودراستها دراسةً تحليليةً بلاغيةً ، تقوم علي إبراز دور اللطائف البلاغية في الإفصاح عن المعاني المقصودة وذلك في أربعة مباحث ، تلا ذلك الدراسة النقدية للقصيدة في المبحث الأخير، وخُتمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي انتهت إلىها وفهرس للمصادر والمراجع ، واللهَ أسأل أنْ يَمْنَحْنِي التوفيقَ والسداد ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ (١) .

---

(١) سورة هود من الآية ٨٨ .

التمهيد

***أولًا : ترجمة الشاعر (أ.د/ عصمت رضوان) :**

***نسبه ومولده :** عصمت محمد أحمد رضوان ، من مواليد جزيرة أولاد حمزة ، مركز العسيرات ، محافظة سوهاج ، ولد يوم السبت السادس من شهر مارس سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٧٦م)(١).

***سيرته الذاتية والعلمية :** نشأ الدكتور عصمت رضوان في أسرة عرفت بالصلاح والتقوي ، فحفظ القرآن في سن مبكرة ، وأظهر تفوقا ونبوغا في مراحل التعليم المختلفة ، فكان من أوائل الجمهورية في الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهرية ، وبعد الثانوية التحق بكلية اللغة العربية ليشبع رغبته في التزود من اللغة والشعر ، وقد ظهر تفوقه المعتاد في دراسته الجامعية ، فقد حصل في فرق الدراسة الأربع علي تقدير ممتاز ، ليتخرج بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، مع المشاركة الدائمة في المسابقات الشعرية بالكلية مما فتق موهبته الشعرية ، فنظم العديد من القصائد في الأغراض المختلفة ، في شتي المناسبات .

***حياته العلمية والوظيفية :** بدأ الدكتور عصمت رضوان حياته الوظيفية معيدا بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا عام ١٩٩٩م ، وحصل علي دبلوم الدراسات العليا في قسم الأدب بتقدير ممتاز ، ثم مدرسا مساعدا بذات القسم عام ٢٠٠٣م بعد حصوله علي الماجستير في الأدب الإسلامي بتقدير ممتاز في موضوع (الاتجاه الإسلامي في شعر محمد مصطفي حمام ومحمد أبي الوفا دراسة تحليلية وفنية وموازنة) ، ثم مدرسا بالقسم عام ٢٠٠٦م بعد حصوله علي الدكتوراة في الأدب المصري المعاصر بتقدير مرتبة الشرف الأولي في موضوع (أصداء

---

(١) غلاف ديوان بغداد صبرا (الصفحة الأخيرة)ط: دار الجامعة ٢٠٠٤م ، وديوان قبل تبسم الفجر دراسة نقدية للدكتور ياسر السيد البنا ص١١ ، ١٢ ط: الأولي مكتبة الآداب ٢٠٠٨م .

الحرمان في الشعر المصري المعاصر في ضوء النقد الحديث)[١]، ثم أستاذا مساعدا عام ٢٠١١م ، ثم أستاذا للأدب والنقد في عام ٢٠١٧م ، ثم وكيلا لكلية اللغة العربية بجرجا للدراسات العليا والبحوث عام ٢٠١٩م إلى الآن .

* **من أهم أعماله الشعرية** : ديوان أنشودة الحجر ، ديوان بغداد صبرا ، ديوان قطوف من ثمار الشعر ، ديوان دموع المحبين في وداع الرنتيسي وأحمد ياسين ، ديوان أبدا لن تسقط بغداد ، ديوان رقصات علي إيقاع الجنوب "إبداعات شعرية سوهاجية" ، ديوان قبل تبسم الفجر ، ديوان الحد في عام الرمادة ، ديوان تداعيات العشق المجنون ، ديوان قطرات من رحيق الوجدان ، ديوان ندي الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ ياسين[٢] .

* **له نشاط ملحوظ** في مجالات الثقافة الجماهيرية والصحافة والإعلام والترجمة والخطابة ، وتم تكريمه من قِبَل كثير من الجهات العلمية والثقافية ومنها : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(الإيسيسكو)- مشيخة الأزهر – جامعة الأزهر – رابطة الأدب الإسلامي العالمية – جامعة قناة السويس – محافظة القاهرة – محافظة سوهاج – مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر – جريدة عقيدتي – مؤسسة الأهرام الصحفية – مجلة الشباب .

---

(١) ينظر : ديوان قطرات من رحيق الوجدان للشاعر عصمت رضوان ، ط: دار الرشيد للطباعة بسوهاج ص ٩٧ ، شعر الدكتور عصمت رضوان بين الرؤية الموضوعية والتشكيل الفني (رسالة ماجستير للباحثة مروة مغربي عجيل) مخطوط بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج ١٤٣٨هـ ٢٠١٦م.

(٢) الأساليب الإنشائية الطلبية في شعر الدكتور عصمت رضوان حتي عام ٢٠١٤م دراسة بلاغية للباحثة حنان فاروق أحمد(مخطوط ماجستير) بمكتبة كلية البنات الإسلامية بأسيوط ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م .

** **ثانياً : ترجمة الصَّحَّاف :**

"محمد سعيد الصحاف" وزير خارجية وإعلام عراقي في عهد الرئيس السابق "صدام حسين"، ولد في مدينة الحلة عام ١٩٤٠م، في محافظة بابل التي قضى فيها طفولته وشبابه قبل أن يلتحق بالجامعة، وبعد تخرجه عمل مدرساً للغة الإنجليزية.

وفي منتصف عقد الخمسينات انضم الصحاف لحزب البعث، واستمر يعمل بمهنة التدريس حتى قيام ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨م، إذ كان الصحّاف هو المسؤول عن القوات التي سيطرت على مديرية الإذاعة والتلفزيون لإلقاء بيان الثورة.

ولقد تسلّم بعدها مهام المديرية ليصبح مدير الإذاعة والتلفزيون ثم طوّرها لاحقا لتصبح المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، واستمر بالمنصب ما يقارب ستة سنوات، ليترك المنصب ويعود للتدريس، حتى عاد الرئيس صدام ليوكل له مهام السفارة العراقية في الهند ، ثم عاد ليكون وزير الدولة للشؤون الخارجية ثم وزيرا للخارجية فوزيرا للإعلام، ويعد الصحّاف صاحب أطول فترة وزير خارجية في تاريخ العراق.

أدار الحرب الإعلامية خلال الغزو الأمريكي للعراق عام٢٠٠٣م، وكان له دور كبير في سير الأحداث، وبرز الصحاف بمؤتمراته الصحفية التي كان يعلن فيها ويتوعد القوات الغازية بأنها ستلقي حتفها علي أرض العراق ،واشتهر بسبّه اللاذع لقوات التحالف بوصفهم بعبارات فصيحة جزلة منها :العلوج، والمرتزقة، والأوغاد وغيرها الكثير(١).

---

(١) وقد أفادت مصادر إعلامية مطلعة عن وفاته في دولة الإمارات العربية المتحدة عن عمر تجاوز ٧٦ عاما وهو آخر وزير إعلام في فترة نظام صدام حسين، وكان الصحاف قد توجه إلى دولة الإمارات العربية المتحدة عقب سقوط نظام حكم صدام حسين على يد الاحتلال الأميركي، هذا ولم يتم التأكد بشكل رسمي من الخبر الوارد عبر صفحات التواصل الاجتماعي. (نقلا عن موقع "ويكيبيديا الموسوعة الحُرة" شبكة المعلومات الدولية إنترنت) .

***** ثالثًا : نَصُّ القصيدة : رسالة إلى الصَّحَّاف ، ما فعل الأوغاد في بلدي؟**

١- قَدْ كَانَ صَوْتُكَ فِـــي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا *** وَيَبْعَثُ النُّورَ يَسْرِي فِي دِيَاجِيْنَا
٢- كَأَنَّهُ البَلْـــسَمُ السِّـــحْرِيُّ نَلْمَسُـــهُ*** وَلَمْسُه رَغْمَ عُمْقِ الْجُرْحِ يَشْفِيْنَا
٣- كَأَنَّهُ الْمَاءُ يَأْتِـــيْـــنَـــا عَـــلَى ظَمَأ *** فَـــيَسْقِي الْعَذْبَ مِنْ رَيَّاهُ صَادِيْنَا
٤- كَأَنَّهُ نَسَمَاتُ الصَّـــــيْفِ تُرْسِـــلُهَا *** فَتَطْرُدُ اللَّفْحَ مِنْ رَمْضَاءِ وَادِيْنَا
٥- كَأَنَّهُ الْمِـــسْكُ يَأْتِي حَيْثُ عَـــالَمُنَا *** فَاحتْ رَوَائِحُـــهُ خُـــبْـــثًا وَتَنْتِيْنَا
٦- وَإِىوْمَ غَابَ فَغَابَتْ شَمْسُنَا مَعَـــهُ *** وَخَيَّـــمَ الْحُزْنُ فِي شَتَّي نَوَاحِيْنَا
٧- أَكَانَ قَـــوْلُكَ أَحْـــلَامًـــا مُـــورَّدَةً *** أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْـــنَا؟
٨- أَيْنَ الْعُهُـــودُ الَّتِي كُنْتَ تَقْطَعُهَـــا؟*** أَيْنَ الْـــوُعُودُ الَّتِي كُنْتَ تُهْدِيْـــنَا؟
٩- أَيْنَ الْمَحَارِقُ يَصْلَاهَا الْعُلُوجُ غَدًا؟ *** أَيْنَ الْقُـــبُورُ أُعِـــدَّتْ لِلْمُضِلِّيْنَا؟
١٠- أَيْنَ الْبَوَاسِلُ تَلْقَي الْمَوْتَ بَاسِمَةً؟ *** أَيْنَ الْفَوَارِسُ تَحْمِي الْعِرْضَ وَالدِّيْنَا؟
١١- صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟ *** قُـــــلْ. لَا تَدَعْنَا لِفِكْرٍ كَادَ يُرْدِيْنَا
١٢- أَكَـــانَ مَقْـــدُمُهُمْ غَـــزْوًا وَسَيْطَرَةً *** أَمْ كَانَ لِلْأَرْضِ إِصْلَاحًا وَتَزْيِيْنَا؟
١٣- أَكَـــانَ هَمُّهُـــمُ الْإِعْمَارَ أَمْ طَـــلَبُوا *** كَنْزًا ثَمِيْنًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَـــدْفُونَا؟
١٤- صَحَّـــافُ أَبْـــلِـــغْ لِـــبَغْدَادَ تَحِيَّتَنَا *** عَـــنَّا، وَبَلِّـــغْ لَهَا عَـــتْبَ الْمُحِبِّيْنَا
١٥- أَرْضَ الحَضَارَةِ هَلْ تُعْطِيْنَ غَاصِبَنَا *** حَبـــــلَ الْقِيَادِ؟ أَهَذَا طَبْعُ أَهْلِيْنَا؟
١٦- أَيْنَ الْصُّمُودُ الَّـــذِي تُقْنَا لِـــرُؤْيَتِهِ ؟ *** أَيْنَ الْبَلَاءُ الَّـــذِي كُـــنْتِ تُبْلِيْنَا؟
١٧- هَـــلْ الْغُزَاةُ عَلَى أَسْوَارِكِ انْتَحَـــرُوا؟ *** أَوْ هَلْ مَنَحْتِهُمْ مِنْكِ النَّيَاشِيْنَا؟
١٨- وَهَلْ لَقُوا عِنْدَكِ النِّيْرَانَ تَحْرِقُهُمْ *** أَوْ مَلَكُوا الْجَنَّةَ الْخَضْرَاءَ وَالْعِيْنَا؟
١٩- لَهْفِي عَلَى صَفَحَاتِ الْمَجْدِ سَطَّرَهَا *** كَفُّ الزَّمَـــــانِ هُنَا إِذْ أَنْتِ تُمْلِيْنَا
٢٠- وَإِىـــوْمَ يَطْمِسُهَا بَـــاغٍ يُـــدَنِّسُهَا *** عَلَى الْعِيَانِ فَقُلْ : وَا مَجْدَ مَاضِيْنَا
٢١- وَاحَسْرَتَاهُ لِأَحْفَادِ الرَّشِيْدِ، وَقَدْ *** سِيْمُوا الْعَذَابَ وَهُمْ سَادُوا الْوَرَي حِيْنَا
٢٢- مِـــنْ بَعْـــدِ مَجْدٍ وَتَارِيْخٍ وَمَفْخَرَةٍ *** شَعْبُ الْعِرَاقِ يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَـــا
٢٣- وَصَارَ يَنْعَمُ فِـــي الْخَيْرَاتِ مُرْتَزِقٌ *** وَعَـــرْبَدَ الْعِلْجُ فِـــي أَرْضِ النَبِيِّيْنَا

٢٤- صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟ *** عَاثُوا الْفَسَادَ وَصَارَ الذِّئْبُ رَاعِيْنَا
٢٥- مَــضَي وَعِيْــدُكَ لَمْ يَعْــبَأْ بِهِ أَحَدٌ *** وَأَنْفَذَ الْقَــوْمُ مَا قَدْ أَوْعَدُوا فِيْنَا
٢٦- يَا هَلْ تَعُودُ؟ وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ كَيْ*** يأْتِي فَيَبْعَثُ غَافِيْــنَا وَيُحْــيِيْنَا
٢٧- إِنْ كُنْتَ حَيًّا فَقُمْ لِلْقَــوْمِ تَطْــرُدُهُمْ *** وَأَوْفِ بِالْــوَعْدِ يَا خَيْرَ الْمُوَفِّيْنَا
٢٨- أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَــاتًا يَوْمَ قَصْفِهِمُ *** كُنْتَ الْشَّهِيْدَ وَهَذَا مِنْكَ يَكْفِيْنَا[1]

**** **رابعًا** : **مناسبة القصيدة** .

هذه القصيدة أنشدها الشاعر بعد سقوط بغداد في قبضة قوات التحالف (أمريكا وحلفائها) يوم ٩ أبريل ٢٠٠٣م[2]، وذلك بعد الحرب التي استمرت قرابة عشرين يومًا حيث بدأت في ٢١ مارس٢٠٠٣م ، وكان وزير الإعلام العراقي آنذاك : محمد سعيد الصَّحَّاف يعقد مؤتمرات صحفية يكشف فيها عن أحداث الحرب ، ويتوعد فيها القوات الغازية بالمفاجآت ، وأنها ستُنْحَر علي أسوار بغداد ، وفي صباح يوم ٩ أبريل ألقي مؤتمرًا صحفيًا كرر فيه وعيده ، وأنَّ القوات العراقية أعدت العدَّة للتنكيل بهذا العدو الغاشم ، وبعد أقل من ساعة شاهدنا علي شاشات التلفاز دخول قوات التحالف بغداد دون أية مواجهة ، وقد دخلت القوات الغازية ساحة الحرية ، واقتُلع تمثال الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين ، وصدرت الأوامر من الحاكم العسكري لقوات التحالف بحل وزارت الدفاع والداخلية والإعلام بالعراق ، وعمَّت الفوضى ، وانتشرت أعمال السَّلْب والنهب وأصبحت الجماهير

(١) ديوان بغداد صبرًا للشاعر / عصمت رضوان، تقديم أ.د/ علي أحمد الخطيــب، ص ٥٧ وما بعدها ، ط: أولي ، دار الجامعة ٢٠٠٤م ، رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٥٦٤م .
(٢) وألقيت في مهرجان الشِّعْرِ العاشر لكلية اللغة العربية ، واحتفإلىة نادي الشُّــرطة بسوهاج في ٢١ أبريل ٢٠٠٣م ، ونشرت في جريدة " أخبار سوهاج " عــدد ربيــع الأول ١٤٢٤هــ / مايو ٢٠٠٣م، وجريدة الوفد – عدد الجمعة – غرة ربيــع الأول ١٤٢٤هــ/٢ مايو ٢٠٠٣م، ولقيت صديً واسعًا في الأوساط الأدبية .

العربية التي كانت تتابع مؤتمرات الصَّحَّاف ومنها الشاعر في حيرة من الأمر، وهم لا يعرفون ماذا حدث... عندها أنشأ الشاعر هذه القصيدة .

******* خامساً : تصنيف القصيدة فنياً.**

تدور القصيدة حول أربع أفكار رئيسة كالآتي :

١-أثر صوت " الصحاف " في مؤتمراته الصحفية علي الوطنيين من أبناء الشعوب العربية ، وأثر غياب ذلك . [الأبيات من ١ : ٥] .

٢- الحيرة والدهشة بين تصريحات" الصَّحَّاف" وما آلت إليه الأمور. [الأبيات ٦: ١٤]

٣- العراق بين الماضي والحاضر. [الأبيات من ١٥ : ٢٣] .

٤- عودة إلى مخاطبة " الصَّحَّاف " . [الأبيات من ٢٤ : ٢٨] .

المبحث الأول: الفكرة الأولي

أثر صوت "الصحاف" في مؤتمراته الصحفية علي الوطنيين من أبناء الشعوب العربية وأثر غياب ذلك .

١- قَدْ كَانَ صَوْتُكَ فِـــي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا *** وَيَبْعَثُ النُّورَ يَسْرِي فِي دَيَاجِيْنَا

٢- كَأَنَّهُ البَلْـــسَمُ السِّـــحْرِيُّ نَلْمَسُـــهُ*** وَلَمْسُه رَغْمَ عُمْق الْجُرْحِ يَشْفِيْنَا

٣- كَأَنَّهُ الْمَاءُ يَأْتِـــيْـــنَـــا عَـــلَي ظَمَأٍ *** فَـــيَسْقِي الْعَذْبَ مِنْ رَيَّاهُ صَادِيْنَا

٤- كَأَنَّهُ نَسَمَاتُ الصَّـــــيْفِ تُرْسِـــلُهَا *** فَتَطْرُدُ اللَّفْحَ مِنْ رَمْضَاءِ وَادِيْنَا

٥- كَأَنَّهُ الْمِـــسْكُ يَأْتِي حَيْثُ عَـــالَمُنَا *** فَاحتْ رَوَائِحُـــهُ خُـــبْـــثًا وَتَنْتِيْنَا

في مطلع القصيدة يتوجه الشاعر إلى وزير الإعلام العراقي آنذاك : محمد سعيد الصَّحَّاف مبيِّنًا أثر صوته علي الشعوب العربية عامة والشاعر خاصة في مؤتمراته الصحفية التي كانت تذيعها قناة الجزيرة وقتئذ ، حيث فرضت الأنظمة العربية المتآمرة علي العراق مع أمريكا وحلفائها تعتيمًا إعلاميًّا علي هذه الحرب الآثمة ، يتوجه الشاعر إليه بهذا الأسلوب الخبري المؤكد بـ قد التحقيقية الداخلة علي الفعل الماضي الناسخ " قَدْ كَانَ..." ، ويأتي الفاعل اسم " كَانَ " مضافًا إلى الضمير العائد علي وزير الإعلام ، " صَوْتُكَ "، وقد أفادت الإضافة التخصيص ، ولا ينسي الشاعر أنْ يوضح وسيلة نشر هذا الصوت " فِي التِّلْفَازِ"، ولأهمية ذلك في كونه المصدر الوحيد لمعرفة ما يجري بالعراق وقتها قدَّمه علي الخبر ، وتختم الجملة الأولي ببيان أثر هذا الصوت علي الشاعر وأمثاله من أبناء العربية التي امتلأت قلوبهم حزنًا علي ما يحدثه هذا العدو الغاشم بالعراق ، فيقول " يُحْيِينا "، وفي هذا التعبير تصوير للتعتيم الإعلامي حول ما يحدث بالعراق بالموت، وفي المقابل تصوير تصريحات " الصَّحَّاف " بالحياة ، وفي التعبير بالمضارع دلالة علي أنَّ هذه الحياة تحدث وتتجدد مع كل مؤتمر صحفي له ، وفي إسناد الفعل " يُحْيِينا" إلى الضمير العائد علي صوت " الصَّحَّاف" مجاز عقلي علاقته السببية تظهر بلاغته في بيان مدي أثر هذه التصريحات ، حيث كان الوزير يتوعد هؤلاء

الغزاة بالمفاجآت علي أسوار بغداد ، وأنها ستكون مقبرةً لهم ، وأنَّ الجيشَ العراقي سيُلَقِّن هؤلاء الغزاة درسًا تكون فيه العظات والعبر لكل مَن تُسوِّل له نفسه المساس بهذا البلد الأبيِّ .

ويواصل الشاعر بيان أثر صوت " الصَّحَّاف" في مؤتمراته الصحفية فيأتي بجملة خبرية أخري معطوفة علي ما قبلها بالواو التي لمطلق الجمع ، ويحذف من هذه الجملة الثانية ما دلَّ عليه في الجملة الأولي من " كَانَ" واسمها ، وحَذْفُ ما قامت القرائنُ علي وجوده مقدَّرا مسلكٌ حميدٌ في لغةِ العرب(١)، فيقول الشاعر " ويَبْعَثُ النُّورَ..." ، فيصوِّر تصريحات "الصَّحَّاف" بالنُّور الذي يبدد ظلام التعتيم الإعلامي المفروض، ففيه استعارة تصريحية ، وهذا يستلزم تصوير التعتيم الإعلامي عمَّا يحدث بالعراق بالظلام ، وهو ما أوحي به قوله "يَسْري فِي دَيَاجِيْنا"، وفي إسناد الفعل "يَبْعَثُ" إلى الضمير العائد علي"صوّتُك" مجاز عقلي لعلاقة السببية أيضًا ، تبرز بلاغته في بيان أهمية هذا الصوت في تصريحاته .

وكلمات الشاعر موحية ، فالفعل " يُحْيينا" بإيقاعه علي ضمير الجمع يوحي بعودة الأمل ، وبث روح الحياة في الأمة العربية ، وأنَّهَا نسيجٌ واحدٌ ، وأنَّ العراقَ جزءٌ أصيلٌ لا يتجزأُ منه ، وكلمةُ " النُّور" هنا مستعارةٌ للبيان والكشف عمَّا يجري بالعراق ، ويأتي الفعل " يَسْرِي " ليصوِّر ما يعانيه هذا النُّور في دفع ظلام التعتيم الإعلامي ، ويُقوِّي ذلك الطِبَاقُ الفطري بين " النُّور – دَيَاجِيْنا " وإفراد " النُّور" وجمع " دَيَاجِيْنا" يوحي بأنَّ هذا التعتيم كان مقصودًا ، وتعاونت عليه قوي الشَّرِّ حتَّي لا تدفع الأحداث إلى تهييج الشعوب العربية ضد أنصار تلك الحرب الآثمة .

وتقييد الفعل " يَبْعَث " بالمفعول " النُّور" يصوِّر تصريحات " الصَّحَّاف" بأنَّها ليست مجرد ألفاظ وعبارات ، وإنما هي قبسات من نور لها أثرها الحسن علي

---

(١) مستفاد من بحث (دلالة دريد بن الصمة تحليل بلاغي لأستاذنا أ.د/ علي عبدالحميد أحمد عيسي ، ص ٧٧ وما بعدها ، منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد (٢٧) عام ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م) .

قلوب الملايين من العرب ، والفعل " يَبْعث " يوحي بأنَّ كشفَ الحقيقةِ عمَّا يحدث بالعراق قد اختفي تمامًا ومات ، وأنَّ تصريحات " الصَّحَّاف" تبعث فيه الحياة ، خاصة وأنَّ هذه التصريحات كانت تأتي علي ما تشتهيه الشعوب العربية .

وتنهضُ جمإلية التناصِّ الكَأَنِّي(١)، هنا خصوصًا على أمرين اثنيْن كانا ذَوَيْ علاقةٍ حميميةٍ هما: مؤتمرات الصَّحَّاف ، وأثرها علي الشارع العربي ، فكأَنَّ هذيْن الموضوعين يشكّلان محور هذا النشاط التناصّي القائم على توظيف الأداة " كَأَنَّ" في التشبيهات، التي تحلَّي بها نسج الكلام في أكثر من بيت وصورة في القصيدة ، حيث ورد ذلك في أربع أبيات متتإلية ، اشتملت علي أربع صور تشبيهية بيانها كالتإلى :

في الصورة الأولي – البيت الثاني – يواصل الشاعر بيان أثر صوت " الصَّحَّاف " بتصريحاته ، وذلك عبر أسلوب التشبيه ، فيقول :

كَأَنَّهُ البَلْسَمُ السِّحْرِيُّ نَلْمَسُهُ * وَلَمْسُه رَغْمَ عُمْق الْجُرْحِ يَشْفِيْنَا**

فنراه ينتقي من أدوات التشبيه " كأنَّ" التي ذكر العلماء أنها يُؤتي بها عندما يقوي الشبه بين الطرفين(٢)، ويؤتي بها في كلَّ صور التشبيه ، فلا تختصُّ بنوعٍ دون آخر ، وهي أداةُ تشبيه مُشددة النون أو مُخففة ، اتصلت بها " ما" الكافة أو لم تتصل ؛ لأنَّ " ما " الداخلة عليها لا تُغَيِّر معناها ، ويليها المُشبَّه ؛ لأنَّه مخبر عنه ، والمخبر عنه هو اسم كأنَّ لا خبرها ، واسمها هنا ضمير عائد علي المشبَّه " صَوْتُك "، ويعقب ذلك المشبَّه به " البلسم"، والبَلْسَمُ : جنسُ شجر من القرنيات

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية] د/ عبد الملك مرتاض ص٢٥١ ط:دار اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م ، والتناص وقلق التأثر لدى الشاعر المعاصر ، د/ محمد ذكي ، ص٥ وما بعدها ، بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة عين شمس المجلد ٤٥ عدد يوليو– سبتمبر ٢٠١٧م .

(٢) ينظر : شروح التلخيص ٣٩٢/٣ ، وما بعدها ط: دار السرور – بيروت .

الفراشية يسيل من فروعها وسوقها إذا جرحت عصارة راتنجية بلسمية تستعمل في الطب ، وهي من أشجار البلاد الحارة(١).

ولا يكتفي الشاعر بذكر المشبَّه به هكذا مجـرَّدًا حتـي يتبعـه بالوصـف" السِّحْرِيِّ" أي الذي له تأثير في النفس كتأثير السِّحْر، ويختمُ البيـتَ بهـذه الجملـة الاسمية الدالة علي ثبات معناها " وَلَـمْسُه رَغْـمَ عُمْقِ الْجُرْحِ يَشْفِيْنَا " إذ أنها تفيد ثبوت المخبر به (الخبر) للمخبر عنه (المبتدأ) ثبوتًا دائمًا ولازمًا ، فـدائمًا وأبـدًا تصريحات " الصَّحَّاف" لها وقعها الإيجابي علي قلوب الوطنيين من أبناء الشـعوب العربية ، فهي تقع منهم موقع الدواء بالنسبة للداء ، وزاد من جمال هـذه الجملـة اشتمالها علي ما يُعْرف عند البلاغيين بـ " تشابه الأطراف "(٢)، حيـث اسـتهلت الجملة الثانية بما انتهت به الأولي ، وهو من قوة الشاعرية في القدرة علي توليـد الكلمات بعضها من بعض ، وتظهر مقابلة الجمع بالجمع في " نَـلْمَـسُـهُ – يَشْفِيْنَا " مما يدل علي عموم الأثر ، واتساع فاعليته .

وفي الصورة الثانية – البيت الثالث – يأتي بهذا التشبيه :

كَأَنَّهُ الْمَاءُ يَأْتِيْنَا عَلَي ظَمَـأٍ * فَـيَسْقِي الْعَذْبَ مِنْ رَيَّاهُ صَادِيْنَا**

حيث يشبه أثر صوت " الصَّحَّاف " في مؤتمراته الصـحفية علـي قلـوب الوطنيين من العرب المتعطشين لسماع ما يَشْفي غيظَهم ، ويخففُ آلامهم بالهيئـة الحاصلة من شرب الماء العذب البارد علي الظمأ ، فهو تشبيه مفرد بمفرد مقيـد ، شُبِّه فيه الصوت المفرد بهيئة ، بجامع ترتب شيء تتطلع إليه النفس وتترقبه علي شيء ، وقد ساعدت القيود في المشبه به في جملة " يَـأْتِـيْـنَـا عَـلَي ظَـمَـأٍ " وجملة " فَـيَسْقِي الْعَذْبَ مِنْ رَيَّاهُ صَادِيْنَا "علي رسم الصورة في أكمل وجه .

---

(١) المعجم الوسيط ١ / ٦٩ مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الناشر: دار الدعوة .

(٢) ينظر : تحرير التحبير لابن أبي الأصبع– تح / حفني محمـد شـرف ص ٥٢٠ ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٦٣م .

وفي الصورة الثالثة – البيت الرابع – يأتي بهذا التشبيه :

كَأَنَّهُ نَسَمَاتُ الصَّيْفِ تُرْسِلُهَا * فَتَطْرُدُ اللَّفْحَ مِنْ رَمْضَاءِ وَادِيْنَا**

فهو يشبه أثر صوت " الصَّحَّاف " علي القلوب بأثر نسمات الصيف ، و" نسمات" جمع نَسَمة[١]،ونَسِيمُ الرِّيحِ: أَوَّلها حِينَ تُقْبل بلينٍ قَبْلَ أَن تَشْتَدَّ[٢]، قال " ابن منظور(ت:٧١١هـ)": " والنَّسِيمُ: ابتداءُ كلِّ ريحٍ قَبْلَ أَن تَقْوى "[٣]، إذ يكون لها أريج يُنعش النفوس ، ويوقظ المُهَجَ ، ويُذْهِبُ عن الأرواحِ الغَمَّ ، ويظهر أثره علي الوجه بإطفاء ما في القلوب من حرارة التلهُّف ، والإضافة للتخصيص ، وجملة " تُرْسِلُهَا " صفة وهو سرٌّ فصلها عمَّا قبلها[٤]، والعطف بالفاء يوحي بسرعة ترتب الأثر، وهو" تَطْرُدُ اللَّفْحَ ..." والتعبير بالمضارع فيهما يحمل في طياته التجدد بتجدد الخطابات، واللَّفْحُ : الحَرُّ، والرمضاء شدَّةُ الحرارةِ من شدَّة حَرِّ الشَّمْس ، والوادي : كلّ منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذًا للسيل ، والجمع أَوْدِيَةٌ[٥]، والمقصود به البلاد العربية ، وإنما خصَّ الوادي؛ لأنَّ اللَّفحَ فيه يكون أشدُّ، والإضافة للتخصيص، أي وادينا لا وادي غيرنا.

وفي الصُّورة الرابعة يقول :

كَأَنَّهُ الْمِسْكُ يَأْتِي حَيْثُ عَالَمُنَا * فَاحَتْ رَوَائِحُهُ خُبْثًا وَتَنْتِيْنَا**

---

(١) والنَّسَمَةُ تطلقُ في الأصلِ علي كلّ كائن حيّ فيه روح (معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، ٢٢٠٦/٣ ط: الأولي – عالم الكتب١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م) .

(٢) لسان العرب ٥٧٤/١٢ " نسم " ط: ثالثة دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ .

(٣) لسان العرب ٥٧٣/١٢ " نسم ".

(٤) ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني ، تح: د/ خفاجي ١٠٧/٣ ط: الثالثة دار الجيل – بيروت .

(٥) المصباح المنير للفيومي ٦٥٤/٢ "ودي" ط : المكتبة العلمية – بيروت .

يستمر الشاعر في وصف صوت " الصَّحَّاف "، وبيان أثره ... وذلك من خلال أسلوب التشبيه والطِّباق البديعي في بناء متنوع بين الاسمية والفعلية ، فيقول " كَأَنَّهُ الْمِسْكُ..." هكذا بوصف صوت " الصَّحَّاف " بالمسك في ارتياح النفوس له ، والتلذذ به ، وانشراح الصدور له ، ومبالغة في بيان قيمة التشبيه نراه يُقيِّد المشبه به بجملة الحال " يَأْتِي حَيْثُ عَالَمُنَا..."، و" حَيْثُ" اسم للمكان وهي من حروف المواضع لا من حروف المعاني ، وتستعار للزمان[١]، مبنية علي الضَّمِّ تشبيهًا بالغايات[٢]؛ لأنَّها لا تجيء إلا مضافة إلى الجمل[٣] وشذّ إضافتها إلى المفرد[٤]، وتحتاج إلى اسم هو " عَالَمُنَا " وخبر هو " فَاحَتْ "، ويأتي الإسناد في" فاحت روائحه " ليقوي من شأن الطِّباق العفوي، ولمَّا كانت الرائِحَةُ توصف

---

(١) كقول طرفة بن العبد : لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ *** حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهْ (ديوانه ص ٧٣ تح/ مهدي محمد ناصر ط: ثالثة دار الكتب العلمية ١٤٢٣هـ ، وينظر : اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ (ت:٧٢٠هـ) تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي ، ط: الأولي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- السعودية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .

(٢) تشبيها بـ (قبل وبعد) من حيث ملازمتها الإضافة ، وقد جاء فيها الفتح والكسر (البرهان في علوم القرآن ٢٧٤/٤ ، وقال صاحب لسان العرب: "حَيْثُ ظَرفٌ مِنَ الظُّرُوفِ، يَحْتاجُ إِلى اسْمٍ وَخَبَرٍ، وَهِيَ تَجْمَعُ مَعْنَى ظَرْفَيْنِ كَقَوْلِكَ: حيثُ عبدُ اللَّهِ قاعدٌ، زيدٌ قائمٌ؛ الْمَعْنَى: الموضعُ الَّذِي فِيهِ عبدُ اللَّهِ قاعدٌ زيدٌ قائمٌ. قَالَ: وحيثُ مِنْ حُرُوفِ الْمَوَاضِعِ لَا مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي، وإِنما ضُمَّت، لأَنها ضُمِّنَتِ الِاسْمَ الَّذِي كَانَتْ تَسْتَحِقُّ إِضافَتَها إِلىه" لسان العرب ٤١١/٣).

(٣) أدوات الإعراب ، ظاهر شوكت البياتي ص ٨٩ ، ط : الأولي المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت – لبنان ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .

(٤) الكناش في فني النحو والصرف لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل (ت:٧٣٢هـ) تح: د/ رياض بن حسن الخوام ، ٢٨٦/١ ، ط: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان ٢٠٠٠م .

بالكريهةُ وبالطَّيِّبَةُ أتي بالتمييز هنا " خُـبْـثًا وَتَـنْـتِـيْـنَا "؛ ليتحدد المقصود ، وليكتمل الطِّباق الذي تظهر بلاغته في المفارقة التعبيرية الدالة علي التضاد ، ويلاحظ دقة الشاعر في اختيار المفردات ، ومن ذلك قوله " عَـالَمُنَا " فهي دالة علي العالم العربي ، وفيها إيحاء بتحسر الشاعر علي ما أصاب عالمه من خيانة وغدر بالتحالف مع الغرب ضد أشقائنا في الشرق ، ولفظة " فَـاحَـتْ " توحي بشدة الظهور والانتشار بما لا يدع مجالًا للشك أو التردد في إدراك ذلك ، وجمع كلمة " رَوَائِحُـهُ " يوحي بتعدد صور الخيانة والغدر وتنوعهما ، وهي مجاز عن الخيانة والغدر والتملُّق للقوي حرصًا علي إرضائه لِمُتَعٍ شخصية ، وبقاء في السُّلطةِ ، وفي الإتيان بـ " تَـنْـتِـيْـنَا " بعد " خُـبْـثًا " نوعٌ من الترقِّي أفاد المبالغة في الوفاء بحق المعني ، مع تمكين القافية .

وعلي جهة العموم استخدم الشاعر الألفاظ المتناسبة في المعاني ، وهو ما يعبر عنه علماء البلاغة بـ " مراعاة النظير"، وذلك من خلال الجمع بين ألفاظ : المسك – روائحه – خُبْثًا – تَنْتِيْنَا ، فجميعها ألفاظ من واد واحد ، وفي هذا دلالة علي ثقافة الشاعر اللغوية ، ومقدرته الفائقة في الجمع بين الأمور المتناسبة .

المبحث الثاني : الفكرة الثانية

(الحيرة والدهشة بين تصريحات" الصَّحَّاف" وما آلت إليه الأمور) .

٦- وَإِلىوْمَ غَابَ فَغَابَتْ شَمْسُنَا مَعَــهُ *** وَخَيَّــمَ الْحُزْنُ فِي شَتَّي نَوَاحِيْنَا

٧- أَكَانَ قَــوْلُكَ أَحْــلَامًــا مُــوَرَّدَةً *** أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْــنَا؟

٨- أَيْنَ الْعُهُــودُ الَّتِي كُنْتَ تَقْطَعُهَــا؟*** أَيْنَ الْــوُعُودُ الَّتِي كُنْتَ تُهْدِيْــنَا؟

٩- أَيْنَ الْمَحَارِقُ يَصْلَاهَا الْعُلُوجُ غَدًا؟ *** أَيْنَ الْقُــبُورُ أُعِــدَّتْ لِلْمُضِلِّيْنَا؟

١٠- أَيْنَ الْبَوَاسِلُ تَلْقَي الْمَوْتَ بَاسِمَةً؟ *** أَيْنَ الْفَوَارِسُ تَحْمِي الْعِرْضَ وَالدِّيْنَا؟

١١- صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟ *** قُــــــلْ. لَا تَدَعْنَا لِفِكْرٍ كَادَ يُرْدِيْنَا

١٢- أَكَــانَ مَقْــدُمُهُمْ غَــزْوًا وَسَيْطَرَةً *** أَمْ كَانَ لِلْأَرْضِ إِصْلَاحًا وَتَزْيِيْنَا؟

١٣- أَكَــانَ هَمُّهُــمُ الْإِعْمَارَ أَمْ طَــلَبُوا *** كَنْزًا ثَمِيْنًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَــدْفُونَا؟

١٤- صَحَّــافُ أَبْــلِــغْ لِــبَغْدَادَ تَحِيَّتَنَا *** عَــنَّا، وَبَلِّــغْ لَهَا عَــتْبَ الْمُحِبِّيْنَا

يبدأ الشاعر حديثه عن هذه الفكرة بهذه الجملة الخبرية التي تفيــد اختفــاء" الصَّحَّاف" "وَإِلىوْمَ غَــابَ" ، هكذا بتقديم الظرف ، ولفظ " إلىوم" اسم من أسماء الزمان يراد فيه معنى فِي ، أي محل لحلول الفعل فيه(١)، والمعني: غاب في ذلــك إلىوم ، وهو يوم سقوط بغداد ، وَالْعَرَبُ قَدْ تُطْلِقُ إِلىوْمَ وَتُرِيدُ الْوَقْــتَ وَالْحِــينَ نَهَارًا كَانَ أَوْ لَيْلًا(٢) .

ثم نراه بني علي هذه الجملة الخبرية جملتين فعليتين فعلهمــا مــاض لازم ، الأولي " غَــابَتْ شَمْسُنَا مَعَــهُ "، وقد عُطفت هذه الجملة علي ما قبلها بالفاء الدالة علي الترتيب والتعقيب بلا مهلة ، ويلحظ اتحاد الجملتين صــورة ممــا أدي إلــى الانسيابية في اللفظ بتولُّد الثانية من الأولي ، ومما حسَّن التكــرار هنــا اخــتلاف

---

(١) ويسمِّيه الكوفيون ظرفًا لأنه لما كان محلا للأفعال سمي ظرفا تشبيها بالأواني التي محل الأشياء فيها. (أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تح/ فخر قــدارة ١٦٦/١ ط: الأولي دار الجيل – بيروت ١٩٩٥م).

(٢) المصباح المنير للفيومي ٦٨٢/٢ (ي و م) ط: المكتبة العلمية – بيروت .

المتعلق الذي تنوع الأسلوب في التعبير عنه بين الحذف والذكر، حيث حُذِف فاعل الأول " الصَّحَّاف "؛ لدلالة السياق عليه ، بينما ذُكِرَ الثاني " شَمْسُنَا "، ووصل تاء التأنيث الساكنة بالفعل " غَابَتْ " دلالة على تأنيث الفاعل ، وتبرز بلاغة الشاعر في التعبير بهذه الكناية " غَابَتْ شَمْسُنَا" في الدلالة علي غياب الحقيقة عن هذه الحرب الآثمة بغياب " الصَّحَّاف"، وتأتي الجملة الثانية حال كونها موصولة بالواو التي تفيد مطلق الجمع " وَخَيَّمَ الْحُزْنُ.." ، هكذا بإسناد الفعل "خَيَّمَ" إلى "الْحُزْنُ" ، والحُزْنُ : نقيضُ الفَرِحِ ، وهو عبارة عما يحصل لوقوع مكروه ، أو فوات محبوب، وهو مُكَدِّرٌ للحياة ، كما أنَّه بمنزلة المرض فهو داءٌ ، وإذا طالت مدته سُمِّيَ هَمًّا ، وتسبب في إذابة البدنَ ، ودلالاتُ الحُزْنِ تُسَمَّى كآبة[1]، والحزن يكون بالمرازئ ، ولا أرزأ في نظر الشاعر مما حدث ، ويأتي الجار والمجرور" فِي شَتَّي نَوَاحِيْنَا " ليكشف عن سعة وامتداد هذا الحزن ، وأنه عمَّ نواحي البلاد ، ثم يتوجه الشاعر مخاطبًا " الصَّحَّاف " عن طريق الاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معني الحيرة والدهشة جراء تصريحات " الصَّحَّاف" وما آلت إليه الأمور من دخول القوات الغازية بغداد ، فيقول:

أَكَانَ قَوْلُكَ أَحْلَامًا مُوَرَّدَةً * أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْنَا؟**

فيصدِّرُ كلامه بهذا الاستفهام الذي يكشف عن شدة الحسرة والحزن ، وأردفه بالفعل الماضي الناسخ " كان " الدال علي المضي ، ثم جاء اسمها " قَوْلُكَ"؛ ليكني به عن تصريحاته ووعيده لقوات التحالف ، ويأتي خبرها "أَحْلَامًا" ليصف ما كانوا فيه تجاه هذه التصريحات بأنه حُلم ، والحُلْمُ : ما يراه النائمُ في نومه[2] من أمور تنكشف من رؤية أشياء جميلة ، وعن أشياء يرغب صاحب الحُلْمِ في الحصول عليها وتحقيقها ، ولذلك وُصِفت بقوله " مُوَرَّدَةً "، ويأتي الشقُّ الثاني من البيت ليدعم هذه الحيرة ويُصعِّد من الحسرة " أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْنَا؟"، ولا

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تح: عبد الحميد هنداوي ، ٢٢٤/٣ (ح ز ن)، ط: الأولي – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

(٢) ينظر : لسان العرب ١٤٥/١٢ " حلم " .

مانع من وجود الأمرين معًا ، إذ لا تعارض بينهما ، والخَطْبُ : الأَمْـرُ العظـيم، والخَطْبُ : الأمر الشديد ينزل ، والجمع : خُطُوبٌ[١] ، والتخفيف في قوله " تَخْفِيْفًا " ضد التثقيل ، واستعمل التخفيف في العذاب ؛ لأنَّه يَجْثِمُ على النفوس جثـومَ مَالـه ثِقل[٢]، والخَطْبُ هنا كناية عمَّا تحدثه القوات الغازية بالعراق .

والتهوين : التسهيل والتخفيف ، يقال: " هَوَّنَهُ الله عليه تَهْوِيناً سهَّلَه وخَفَّفه"[٣]، وفي الكلام إيجاز بليغ بحذف المسند إليه ؛ لدلالة ما قبله عليه .

ثم يُصعِّدُ الشاعر من إحساسه بالحيرة وذلك عن طريق الاستفهامات المتتابعة:

أَيْنَ الْعُهُودُ الَّتِي كُـنْتَ تَقْطَعُهَـا؟ * أَيْنَ الْوُعُودُ الَّتِي كُـنْتَ تُهْدِيْنَا؟**

في إشارة منه إلى ما كانت تشتمل عليه تصريحات " الصَّحَّاف " من الوعيد الشديد لهذه القوات الغازية ، وأنها ستلقي حَتْفَها علي أسوار بغداد ، وأنها لا ولـن تصل إلى مبتغاها واستهلال البيت بأداة الاستفهام " أَيْنَ "[٤] التي وُضِعَت في أصل اللغة للاستفهام بها عن المكان الذي حلَّ فيه الشيءُ، نحو "أيـن أخـوكَ؟[٥] وقـد خرجت عن هذا الأصل إلى التعجب والذهول ودلالات الألم والحسرة ، وهي ظرف متعلق بالخبر" العُهُود " وجملة " الَّتِي كُـنْتَ تَقْطَعُهَـا " من الموصول وصلته صفة

---

(١) وقال الفيروزأبادي : " الخَطْبُ : الشأنُ والأَمْرُ صَغُرَ أو عظُمَ " القاموس المحيط ص ٨٠ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط: الثامنة١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) الفروق اللغوية للعسكري تح/ محمد إبراهيم سليم ، ص١٧٩ ط: دار العلم والثقافة – القاهرة – مصر .

(٣) مختار الصحاح للرازي ، تح/ يوسف الشيخ محمد ص٣٢٩ (هـ و ن) ط: خامسة المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م .

(٤) وإذا سبقته "مِنْ" كان سُؤالاً عن مكان بُروز الشيءِ، نحو "من أيـنَ جئـتَ؟، وإذا سبقته " إلى " كان سؤالًا عن مكان انتهاءِ الشيءِ ، نحو "إلـى أيـنَ تـذهبُ؟، وإذا تضمَّنت معني الشرط جزمت فعلين...

(٥) ينظر : الجني الداني في حروف المعاني للمرادي، تح د/ فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ص ٣٠ ط : أولي– دار الكتب العلمية– بيروت١٩٩٢م ، البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/٢٥٠ ط: الأولى دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .

لـــ " العُهُود"؛ ولذا فُصلت عنها ، وتصعيدًا لهذه الدلالات تتكـــرر أداة الاســـتفهام " أَيْنَ" حاملة نفس المعاني ، ويأتي خبرها " الْـــوُعُـــودُ " موصوفًا بجملة الموصول وصلته " الَّتِي كُـــنْتَ تُهْـــدِيْـــنَا"، ويُلْحظ الجمع في "العهود" و "الوعود" إشارة إلى كثرتها، والتعبير بالمضارع لتجددها وأنه لا يخلو خطاب منها .

ويواصل استفهاماته كاشفًا عن حقيقة هذه الوعود بقوله :

أَيْنَ الْمَحَارِقُ يَصْلَاهَا الْعُلُوجُ غَدًا؟ * أَيْنَ الْقُبُورُ أُعِـدَّتْ لِلْمُـضِلِّـيْنَا؟**

هكذا بتكرار أداة الاستفهام " أَيْن" فـــي أســـلوب يجمـــع بـــين " المَحَـــارق" و" القُبُور"، والإتيان بهما جمعًا ؛ ليوحي ذلك بكثرة هؤلاء الغزاة كثـــرة تســـتوجب كثرة المحارق والقبور، و" المَحَارِقُ": جمعُ مَحْرَقة ، وهو الموضعُ الذي يُحْرَقُ به الخَشَبُ ونحوه ، وأتي بـــ " المَحَارِق " مع أنها تنافي حُرْمَة الإنسان؛ إشـــارة إلـــى أنهم بصنيعهم تجردوا من معاني الإنسانية فاستحقوا الحَرْقَ ، إهانة لهم ولـــذرياتهم من بعدهم ؛ فإنَّ العرب كانوا إذا سَبُّوا شخصًا أو أرادوا به سُوءًا دعوا له بالحَرْق، أو قالوا له : يا ابن المحروق[1].

ويصف " المَحَارِقَ" بجملة " يَصْلَاهَا الْعُلُوجُ" وكأنَّها أُعِدَتْ خصيصًا لهـــؤلاء المعتدين ، وجملة " يَصْلَاهَا" نسقٌ قرآني من قوله تعالى:﴿لَا يَصْلَهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾[2]، وهي من الصُّلْي، وهو مصدر صَلِيَ النار كرَضِيَ يَصْلَاها صُلْيًا "بالضم والكســـر " إذا قاسى ألمها، وباشر حرَّها[3]، والعُلوج : جمع عِلْج ، والعِلْجُ : الرَّجُلُ مِنْ كفَّار

---

(١) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علـــي ١٦٢/٩ ط : الرابعـــة – دار الساقي١٤٢٢هـــ .

(٢) سورة الليل آية ١٥ وقوله تعالى ﴿ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[سورة الإسراء مـــن الآية ١٨] .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٤٧٦/٣ ط: دار الفكر – بيروت – لبنان ١٩٩٥م ، والصُّلْيُ : مصدر سماعي بوزن فُعُول – قُلِبت واوهـــا يـــاء ثـــم أدغمت في إلىاء بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشددة– والصِّلْيُ – بكســـر الصاد – اتباعًا لحركة اللاّم كما في جثيّاً .

الْعَجَمِ، والأُنثى عِلْجة، والعِلْج: الْكَافِرُ؛ وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْقَوِيِّ الضَّخْمِ مِنَ الْكُفَّارِ: عِلْج(١).

ويأتي ظرف الزمان " غَدًا " ليدل علي قرب تحقق تلك العهود والوعود، فهو موضوع في أصل اللغة للدلالة علي إلىوم الذي بعد يومك الذي أنت فيه ، وقد يُعْنَي به إلىوم المترقب وإن كان بعيدًا، ومن كلام العرب : إنَّ غَدًا لِناظِرِهِ قريب(٢).

كما نراه يصف القبور بجملة " أُعِدَّتْ لِلْمُضلِّيْنَا" وفيها إيجازٌ ببناء الفعل لما لم يُسمَّي فاعله ، وهذا الوصف يُشعر بإعداد هذه القبور وتجهيزها بما يليق بهؤلاء الغزاة الكفرة الفجرة ، ودعَّم هذا المعني استخدام هذه الصِّفة التي جاءت في بنية اسم الفاعل " مُضلِّيْنَا "، ويتابع استفهاماته بأسلوب يحملُ نوعًا من العتاب والتوبيخ بجانب الحيرة :

أَيْنَ الْبَوَاسِلُ تَلْقَي الْمَوْتَ بَاسِمَةً؟ * أَيْنَ الْفَوَارِسُ تَحْمِي الْعِرْضَ وَالدِّيْنَا؟**

فنراه يواصل الاستفهام بأداته " أيْنَ" التي تُصَعِّدُ من الحَيْرَةِ ، وتُشْعِرُ بشدة التلهُّف علي تحقيق ما كان يتوعَّد به " الصَّحَّاف" قوات التحالف ، و" البَوَاسِل " فواعل تستعمل في اللغة العربية لغير العقلاء وللمؤنث أكثر مما تستعمل للمذكر، تقول: أسَد باسل، وأُسود بواسل(٣)، وفتاة باسلة، وفتيات بواسل، أي باسلات ،

---

(١) لسان العرب ٣٢٦/٢ " علج " .

(٢) وأول من قال ذلك قُرَاد بن أجْدَعَ، يراجع : مجمع الأمثال للميداني تح/ محمد محيي الدين ٧٠/١ ، ط: دار المعرفة – بيروت .

(٣) وقد ورد عن الأحوص الأنصاري قوله : وَلَولَا الَّذِي قَدْ عَوَّدَتْنَا خَلائِفٌ ***غَطاريفُ كانَت كَاللُيُوثِ البَواسِلِ (في ديوانه ص١٦٩ تح/ د: إبراهيم السامرائي ط: مكتبة الأندلس ١٩٦٩م ، وينظر:المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة ، ماجستير للباحث/ هاني محمد عبد الرازق القزاز ص٥٤٥ مخطوط بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق).

والبَاسِلُ : الرَّجُلُ الشُّجاع ، يُقَالُ : بَسُلَ الرجُلُ يَبْسُلُ؛ فهو باسِل: وهو عُبُوْسَةُ الغَضَبِ والشجَاعَةِ، وأسَد باسِل، وتَبَسلَ الرَّجُلُ واستَبْسَلَ: صارَ باسِلاً ، وأبْسَلَ نَفْسَه للمَوْتِ: إذا وَطَّنَ نَفْسَه عليه(١).

وتأتي جملة " تَلْقَي الْمَوْتَ " مفصولة عمَّا قبلها ؛ لوقوعها صفة له ، و" تَلْقَي" الاسم منه التِلقاء – بالكسر– ولا نظير له في الكلام سوى التبيان(٢)، ويكون اللقاء بحسِّ البصر وبالبصيرة ، ومعنى" تَلْقَي" يستدعي أن يكونَ بين اثنين عادةً ، وإنْ لم يكن على المفاعلة ، والمراد بـ " تَلْقَي الْمَوْتَ " لقاء أسبابه وآثاره وهي اشتعال الحرب ، وما يدل عليه من الوقوع علي الأرض ، وخروج الدم والقطع وغير ذلك من الانفجارات والقصف ؛ لأنَّ الموتَ بنفسه لا تُعاين حقيقته ، ففي الكلام إيجاز بليغ بحذف المضاف إليه ونية معناه ، وهذا الحذف صان العبارة من الترهل ، وأطلق للنفس العنان في تصوُّر ذلك .

ويتبع ذلك حال مفردة " بَاسِمَةً "؛ لتصوِّر هيئة هؤلاء البواسل عند تلقيهم الموت ، وإنما يتأتى منهم ذلك ؛ لينالوا شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، و" بَاسِمَة " من التَّبَسُّمِ وهو انبساط الوجه بحيث تظهر الأسنان من السرور بلا صوت ، وهو دون الضَّحك وأحسنه ، وأوَّل مراتبه ، وهو أكثر ضحك الأنبياء عليهم السلام(٣)، وفي ذلك إشارة إلى تشبه هؤلاء البواسل بهم .

ويأتي الشطر الثاني معتمدًا في بنائه التركيبي علي الأسلوب الإنشائي أيضًا مستخدمًا نفس الأداة " أَيْنَ " يليها الخبر" الْفَوَارِسُ "، المعرَّف بـ أل التي للعهد الذهني، والمعني : أين الفوارسُ المعهودون ذهنا بحَقيقتهم غير المعَيّنين

---

(١) معجم العين للخليل تح/ د:مهدي المخزومي، د:إبراهيم السامرائي٧/٢٦٠ (بسل) ط: دار ومكتبة الهلال .

(٢) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة للجواليقي ، بتقديم /مصطفى صادق الرافعي ص٣٠٢ ط: دار الكتاب العربي، بيروت ، ولسان العرب ١٥/٢٥٤(لقي) .

(٣) يراجع : لسان العرب ١٢/٥٠ مادة " بَسَمَ " .

بأشخاصهم، وأتبع ذلك بجملة " تَحْمِي الْعِرْضَ وَالدِّيْنَا "؛ لتكشف عن مهمة هؤلاء الفوارس ، وأنهم ما استحقوا هذا النعت إلا لتمكن هذه الصِّفة فيهم ، وهي تضفي عليهم مزيدًا من الشجاعة والكرامة والمروءة والحَمِيَّةِ ، وفُصِلت هذه الجملة عن الموصوف قبلها لأنها والموصوف بمنزلة الشيء الواحد ، ولا يُعْطف الشيء علي نفسه ، وخَصَّ العِرْضَ والدين لأهميتهما ، ولأنَّهما من الكليات الخَمْسِ[1] الواجب علي الإنسان حفظها ، وبالمحافظة عليهما يكون لغيرهما أحفظ ، و" الْعِرْضَ ": النفس ، وقيل الحَسَبُ ، وما يعدُّه الإنسانُ من مفاخر آبائه ، وهو موضع المدح والذم في الانسان ، وهو موجب للكرامة ، وذَكَرَ" العِرْضَ" ولم يذكر المال ؛ لأنَّ المال إذا تلف يمكن العمل علي كسبه ثانية ، أما العِرْضُ إذا تدَنَّسَ فلا يستطيع الإنسان تطهيرَه ، وقدَّم العِرْضَ علي الدِّيْن قَصْدًا إلى تمكين القافية .

وبعد هذه الاستفهامات المتكررة التي تنم عن حيرة الشاعر؛ لعدم وجود إجابات يتوجه بالخطاب إلى " الصَّحَّاف" لعله يجيبه فينقذه من حيرته ، فيتوجه إليه قائلًا :

صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟* قُـلْ. لَا تَدَعْنَا لِفِكْرٍ كَادَ يُرْدِيْنَا**

ويستهل هذا البيت بهذا النداء الذي حُذفت أداته ؛ وحذف أداة النداء لَهُ دلالةٌ في نفس المتكلم، وهي أنّ المنَادى في أقرب منازل القرب من المنادِي ، حتّى لَمْ يحتج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ ، وبعد هذا التنبيه يأتي بالمنادي من أجله، وهي جملة استفهامية صُدِّرت بالأداة " ما " التي يُسألُ بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته ، وعن أعيان العقلاء وأنواعهم وصفاتهم[2]، والاستفهام هنا حقيقي الغرض منه طلب معرفة ما حدث ، والمعني: أي شيء فعله الأوغاد ، و"ما" اسمُ استفهام في موضع رفع مبتدأ والجملة بعدها خبر عنها ، ونلحظُ استعمالَ الشاعر

---

(١) وهي : الدِّين _ النسل أو العرض _ العقل _ النفس _ المال. (الموافقات للشاطبي ، تح: مشهور حسن ٣/١ ط: الأولي دار ابن عفان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي٤٠٢/٤ .

الألفاظ الموحية ذات الدلات الثرية ومن ذلك كلمة "الْأَوْغَاد"، والتي تبرز بلاغتُها في الإيجاز البليغ ، فهي لفظةٌ تحملُ دلالات عدَّة ، إذْ " الْأَوْغَادُ ": جمع وَغْد ، وهو" الخفيفُ الأحمقُ الضعيفُ العقل الرذل الدنيء "[١]، وهو – أيضًا– الذليلُ والضعيفُ والذي يخدمُ بطعام بطنه ، قال " ابن منظور":" يقالُ : فُلانٌ من أَوْغاد القوم...أي من أذلائهم وضعفائهم ... والوغدُ: خادم القوم ، وقيل : الذي يخدمُ بطعام بطنه "[٢]، وتأتي الإضافة في " بلدي" للتخصيص الذي يكشف عن ولاء الشاعر للعرب والعروبة ، ونلحظ تعدد الأساليب الإنشائية في البيت ، فبعد النداء والاستفهام يأتي الأمر" قُلْ"؛ ليطلب به الشاعر أنْ يجيبه الصَّحَّاف ويخبره عمَّا حدث ، ويتبعه بأسلوب إنشائي رابع وهو النهي" لَا تَدَعْنَا لِفِكْرٍ..." والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء[٣]، ويصف هذا الفكر بجملة " كَادَ يُرْدِيْنَا"، حال كونها مفصولة عنه ؛ لأنَّ الصِّفة لا تُعطف علي الموصوف ، والفعل " كَادَ" فعل ماض من أفعال المقاربة ، فمعني : كاد يفعل: قارب الفعل ، ومعني : ما كاد يفعل : لم يقاربه ، و" يُرْدِيْنَا " من الرَّدَي وهو الهلاكُ إمعانًا في إظهار الحيرة والدهشة مما حدث ، وتعلق نفوس الجماهير العربية الوطنية ومنها الشاعر بالرغبة الصادقة في معرفة الحقيقة ، وفي الكلام إيجاز بالحذف إذ الأصل : كَادَ أنْ يُرْدِيْنَا ، فحذف " أن " وأبقى عملها ، وفيه إشعار باطراد اقتران خبر كاد بـ " أنْ"؛ لأنَّ العاملَ لا يُحْذف ويبقى عمله إلا إذا اطرد ثبوته[٤] .

ثم يكشف الشاعر عن الأسباب التي دعت إلى هذا الغزو، فيزاوج بين مزاعم الغزاة وحقيقة ما جاءوا من أجله ، ونراه يقدم الحقيقة علي المزاعم تارة ويؤخرها

---

(١) لسان العرب ٣٥٠/١٥ " وغد" .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ١٦٩/٢ " ف ك ر " .

(٤) ينظر : شرح تسهيل الفوائد لابن مالك ، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون ٣٧٩/١ ط: الأولي دار هجر للطباعة (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) .

أخري ، وهو في الحالين يصوغ المعني في بناء محكم يعتمد علي الاستفهام الإنكاري والإضراب ، ففي قوله :

أَكَانَ مَقْدُمُهُمْ غَـزْوًا وَسَيْطَرَةً * أَمْ كَانَ لِلْأَرْضِ إِصْلَاحًا وَتَزْيِيْنَا؟**

نراه يقدِّم السبب الحقيقي ، واستهل البيان بهمزة الاستفهام التي هي حرف مشترك يدخل علي الأسماء والأفعال لطلب التصديق ، أو التصوُّر(١)، وتلاها الفعل " كان" الذي لا يفيد الانقطاع هنا ، بل يقتضي الدوام والاستمرار(٢)، فدائمًا وأبدًا مقدمهم غزوًا وسيطرةً ، ونلحظ الترتيب الطبيعي للبناء التركيبي ، حيث الفعل الناسخ "كان" ثم اسمها" مَقْدُمُهُمْ " ثم خبرها المتعدد " غَـزْوًا وَسَيْطَرَةً "، وإنما عطف الثاني علي الأول ؛ لوجود فرق بينهما فالغزو : السير إلى قتال العدو وانتهابه(٣)، فالغرض الأصلي منه الغنيمة ، وتحصيل المال(٤)، والسيطرة : من سيطر عليه : تسلط عليه بالإشراف ، وتعهد أحواله وأحصى(٥)، أعماله وتحكَّم ، "فالدول الغربية العاتية تغزو من أجل أن تُسيطر وتعتدي وتحتقر، وتُذل الآخرين وبخاصة إذا لم يكونوا علي دينها ، وهي توهم السُّذَّج والغُفَّل والبُلْه أنها تحارب من أجل تكريس الحرية الجميلة ، ومن أجل أنْ تسود المبادئ السامية علاقات الناس ، وألا يكون الظلم والفقر والاضطهاد، وهي شعارات برَّاقة جوفاء"(٦) .

ويفصح الشاعر عن هذا المعني البرَّاق الذي يدعيه الغزاة بأنَّ مقدمهم للإصلاح ورفع الظلم عن سكان هذه البلاد المعذَّب أهلها علي حد وصفهم ، بقوله "

---

(١) ينظر: الجني الداني في حروف المعاني للمرادي ص ٣٠ .

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٢٢/٤ .

(٣) لسان العرب ٦٧/١٠ " غزا " .

(٤) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٨٤ .

(٥) لسان العرب ٢٥٧/٦ " سطر" .

(٦) العراق ومائدة اللئام ،د/ يوسف بن صالح الصغير، مقال منشور بمجلة البيان العدد ١٨١ ص ٩٧ مجلة شهرية تصدر عن المنتدي الإسلامي – الكويت ١٤٢٨هـ .

أَمْ كَانَ لِلْأَرْضِ إِصْلَاحًا وَتَزْيِيْنَا؟"، وقدَّم الإصلاح علي التزيين للترتيب الطبيعي في الوجود ، كما أدي هذا التقديم إلى تمكين القافية .

ويواصل الشاعر شعارات الغزاة البرَّاقة لغزوهم، ويتبعها ببيان الوجه الصحيح لهذا الغزو، لكنه لا يصرح به ، بل يترك الأمر للمتلقي فيتدبر ويعقل ، انظر قوله :

أَكَانَ هَمُّهُمُ الْإِعْمَارَ أَمْ طَلَبُوا * كَنْزًا ثَمِيْنًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَدْفُونَا؟**

فقد بدأ بما زعموه ، ونلحظ تكرارًا لفظيًّا في جملة الصدر" أكان "، حيث الاستفهام الإنكاري ، والفعل الماضي " كان"، وقد تسلَّط النفي علي خبرها وهو " الإعمار"، وبعد أنْ نفي أنْ يكون الإعمار دافع الغزو جاء بالدافع الحقيقي في بنية أسلوبية تعكس قدرته علي الجمع بين نفي الزعم ، وإثبات الحق ، فجاء بـــ " أم" المنقطعة التي تفيد الإضراب عمَّا قبلها علي سبيل التحوُّل والانتقال ، والمعني : بل طلبوا... وإسناد الفعل إلى ضمير الجمع يوحي بإجماع الدول الغازية عليه ، كيف لا وقد جعلوه " كَنْزًا ثَمِيْنًا "، وهو كناية عن النفط ، وقد وُصِف هذا الكنز بصفتين: أفصحت الأولي عن قيمته ، بينما كشفت الثانية "بِبَطْنِ الْأَرْضِ" عن مكانه ، ويلحظ فصل هاتين الصفتين عن الموصوف ؛ لأنَّ الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد ، فلا تحتاج إلى حرف عطف يربطها به[1]، ولا ينسي الشاعر أنْ يكشف عن حال هذا الكنز الثمين ، فيأتي بقوله " مَدْفُونَا "، وهي حال لازمة كما يلاحظ التنوع الأسلوبي بين التعريف تارة ، والتنكير أخري ، فالتعريف في قوله " الإعمار"- يفيد معناه في عرفهم هم ، والذي يعني إعمار بلادهم من خلال ثروات البلاد المستعمرة - والتنكير في قوله " كَنْزًا"، لتعظيم شأنه ، وليؤذن أنه من عناية المتكلم والسامع

---

(١) ينظر : كتاب دلائل الإعجاز تح/ محمود شاكر ، الفقرة رقم ٢٥٥ ص ٢٢٧ ط: ثالثة مطبعة المدني بالقاهرة و جدة السعودية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

بمكان يَعْيَ فيه الرمز والإشارة ، ويشتمل البيت علي التدوير[١]، حيث إنَّ القارئ لا يتوقف عند نهاية الصدر، وإنما يوصل العجز به .

ويمكن حمل الاستفهام فيما سبق علي " تجاهل العارف"[٢]، فالشاعر يعلم علم إلىقين أنهم ما أتوا إلا للغزو والسيطرة علي النفط ، ولكنه تجاهل ذلك وأجري الكلام مجري المستفهم رغبة في تحقيرهم ؛ لاستخفافهم بعقول أصحاب تلك البلاد المغزوة ، وادعاءاتهم الكاذبة بمحاولة تحسين صورتهم ، وتبريرًا لما يقومون به .

صَحَّافُ أَبْلِغْ لِبَغْدَادَ تَحِيَّتَنَا * عَنَّا ، وَبَلِّغْ لَهَا عَتْبَ الْمُحِبِّيْنَا**

ويتوجه الشاعر إلى وزير الإعلام العراقي بهذا النداء الذي غرضه التنبيه لِمَا يطلبه بقوله "أَبْلِغْ لِبَغْدَادَ تَحِيَّتَنَا عَنَّا "، وأصل البلاغ : الوصول، يقال : بَلَغ يَبْلُغ بُلُوغًا وأَبْلَغَه إِبْلَاغًا، وبَلَّغَه تَبْلِيْغًا[٣]، والهمزة للتعدية ، وخصَّ " بَغْدَاد" دون باقي المحافظات ؛ لأنها عاصمة البلاد وأقوي مدن العراق ، وبها يسكن القادة المطلوبون ، فإذا سقطت سقط العراق بأكمله ، وأصل التحية : البقاء والحياة، والتَّحِيَّةُ تَفْعِلَةٌ مِنْ حَيَّ ، والمراد التحية المعهودة ، وهي مأخوذة من تمني الحياة والدعاء بها بالْبَقَاءُ وبالأمن والسلامة مما تكره ، والمقصود تأمينها من الشَّرِّ المتوقَّع من المتناكرين ، وهو ما يدل علي عُلُوِّ شأنها ورفعة مكانتها لدي الشاعر، وفي إضافة " تَحِيَّة " إلى ضمير الجمع " تَحِيَّتَنَا " من إضافة اسم المصدر إلى مفعوله ، أي تحيَّة نُحَيِّيها بها ، مما يفيد ثبوت هذه التحية منهم جميعاً ، وأن لا يخلو

---

(١) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص١١٣ ، ط: الخامسة دار العلم للملايين – بيروت .

(٢) ينظر: الإيضاح ص٣٥١ ط: رابعة دار إحياء العلوم –بيروت ١٩٩٨م ، وشروح التلخيص ٤٠٣/٤ .

(٣) ومنه البلاغة ؛ لأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ (مقاييس اللغة لابن فارس تح: عبد السلام هارون٣٠١/١ (بلغ) ط: دار الفكر١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

أحد من أهلها منها ، وفي استعمال لفظ التحيـــة كنايـــة عـــن التعظـــيم ، والجـــار والمجرور " عَنَّا " يجوز أن يتعلَّقَ بمحذوفٍ صفةً لـــ " تَحِيَّة "، وأَنْ يتعلَّقَ بـــنفسِ "تَحِيِّة" أي : تحيتنا الصادرة من جهتنا . وتظهر ثقافة الشاعر اللغوية في الاشتقاق الواقع بين " أَبْلِغْ " وبَلِّـــغْ "، والوصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع[١] ، فالجملتان خبريتان لفظًا إنشائيتان معني واللام في "لَهَا " للاختصـــاص ، والعَـــتْبُ : الْمَوْجِدَةُ وَالْغَضَبُ[٢] مصدر عَتَبَ عليه: أي وجد عليه وغضب ، مـــن قولهم: عاتبت فلاناً فأعتبني، أي استرضيته فأرضاني، والاسم العتاب والمَعْتَبَـــة ، و"الْـــمُحِـــبِّـــيْنَا " اسم فاعل من أَحَبَّ ، وهو من إضافة اسم الفاعل إلى مفعولـــه ، والكلام في مجمله تنويه ببغداد ، وبيان علوّ مرتبتها ، والدعاء لها بخلاصها مـــن المكدرات لتذهب نفس السامع كل مذهب .

---

(١) الإيضاح ص ١٥٦ ط: دار إحياء العلوم .

(٢) المغرب في ترتيب المعرب للمُطَرِّزِيّ ، ص٣٠٣ ، ط: دار الكتـــاب العربـــي غيـــر مؤرخة .

المبحث الثالث : الفكرة الثالثة (العراق بين الماضي والحاضر).

١٥- أَرْضَ الحَضَارَةِ هَلْ تُعْطِيْنَ غَاصِبَنَا *** حَبْـــلَ الْقِيَادِ؟ أَهَذَا طَبْعُ أَهْلِيْنَا؟
١٦- أَيْنَ الْصُّمُودُ الَّــذِي تُقْنَا لِــرُؤْيَتِهِ ؟ *** أَيْنَ الْبَلَاءُ الَّــذِي كُــنْتِ تُبْلِيْنَا؟
١٧- هَــلْ الْغُزَاةُ عَلَي أَسْوَارِكِ انْتَحَــرُوا؟ *** أَوْ هَلْ مَنَحْتِهُمْ مِنْكِ النَّيَاشِيْنَا؟
١٨- وَهَلْ لَقُوا عِنْدَكِ النِّيْرَانَ تَحْرِقُهُمْ *** أَوْ مَلَكُوا الْجَنَّةَ الْخَضْرَاءَ وَالْعِيْنَا؟
١٩- لَهْفِي عَلَي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ سَطَّرَهَا *** كَفُّ الزَّمَـــانِ هُنَا إِذْ أَنْتِ تُمْلِيْنَا
٢٠- وَإِلَى يَــوْمَ يَطْمِسُهَا بَــاغٍ يُــدَنِّسُهَا *** عَلَي الْعِيَانِ فَقُلْ : وَا مَجْدَ مَاضِيْنَا
٢١- وَاحَسْرَتَاهُ لِأَحْفَادِ الْرَّشِيْدِ، وَقَدْ *** سِيْمُوا الْعَذَابَ وَهُمْ سَادُوا الْوَرَي حِيْنَا
٢٢- مِــنْ بَعْــدِ مَجْدٍ وَتَارِيْخٍ وَمَفْخَرَةٍ *** شَعْبُ الْعِرَاقِ يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَــا
٢٣- وَصَارَ يَنْعَمُ فِــي الْخَيْرَاتِ مُرْتَزِقٌ *** وَعَــرْبَدَ الْعِلْجُ فِــي أَرْضِ النَبِيِّيْنَا
٢٤- صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟ *** عَاثُوا الْفَسَادَ وَصَارَ الذِّئْبُ رَاعِيْنَا

يأخذ الشاعر في بيان مكانة العراق ، فهي أرض الحضارة ، ولا يقبل أهلها أنْ يدنسها باغ ، وينكر أنْ يُسلَّم أبناؤها قيادتها لغير رجالها ، ويتبع هذا الأســلوب بمجموعة من الاستفهامات... وبدأ الشاعر هذه الفكرة بهذا النداء الذي حُذِفَتْ أداته " أَرْضَ الحَضَارَةِ "(١)؛ لينبه إلى ما يأتي من استفهامات، انظر: " هَلْ تُعْطِيْنَ غَاصِبَنَا حَبْلَ الْقِيَادِ؟" وهو استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معني الإنكار التكذيبي علي معني : لَا تُعْطِيْنَ ، أو الإنكار التوبيخي علي معني : لا ينبغي أنْ تُعْطِيْنَ ، وإنمــا عبَّر بالاستفهام الإنكاري دون النفي الصريح ؛ لأنَّ الاستفهام يُعْطي صــورة مــن التنبيه للمتكلِّم ، وفيه براءة من الكذب(٢)، هذا وقد استوفت جملة الاستفهام أركانها ، حيث الأداة " هلْ " داخلة علي جملة الاستفهام المكونة من الفعل المتعدي " تُعْطِيْنَ " المستتر فيه فاعله ، وتتميمًا للفائدة يأتي المفعول الأول "غَاصِبَنَا" مضافًا إلى ضمير

---

(١) الحضارة : عكس البداوة ، وهي كل مركب يجمع بداخله المعتقدات والقيم والتقاليد والفنون والعلوم ، فهي مظهر الرقي العلمي والأدبي والاجتمــاعي . (معجــم اللغــة العربية ٥١٣/١ "ح ض ر") .

(٢) ينظر : كتاب دلائل الإعجاز تح/ شاكر ص ١١٩ ، ١٢٠ .

الجمع ، ليوحي بإيقاع الفعل علي الجميع ، فالأمة العربية وما تملكه عُنْصرٌ واحدٌ ، والاعتداءُ علي أي جزءٍ منها يصيب الجميع مهما بَعُدت الأماكن واتسعت الأقطار، ويأتي المفعول الثاني "حَبْلَ الْقِيَادِ" ليكشف عن مدي التباعد بين الأمرين: غَاصِبَنَا وحَبْلَ الْقِيَادِ ، وأنهما لا يلتقيان ولا تسمح بهما النفوس الأبية الحُرَّة ويُصَعِّد من درجة الإنكار باستفهام آخر يختم به البيت "أَهَذَا طَبْعُ أَهْلِيْنَا؟" في إشارة إلى تحقير هذا الأمر، وعدم قبول أصحاب النفوس السَّويَّة به .

ثم نراه يتابع نظمه باستفهامات تبلغ مداها في الحيرة والحسرة " أَيْنَ الْصُّمُودُ... أَيْنَ الْبَلَاءُ"، ويأتي بالمستفهم عنه في الموضعين معرَّفًا بـ أل للدلالة علي أنَّه صمود وبلاء من نوع خاص يليق بهؤلاء أصحاب الحضارة ، إذ هو صمود وبلاء يقهر الأعداء ، ويحْمي الأرض والعرض ، ويُعْلي من كرامة صاحبه، دعَّم ذلك بما أتبعه من وصف لكل منهما ، فقد وصف الصُّمود بالموصول وصلته " الَّذِي تُقْنَا لِرُؤْيَتِهِ "، كما وصف البلاء بقوله " الَّذِي كُنْتِ تُبْلِيْنَا" وفصل بين الموصوف وصفته في الموضعين لأنَّهما كالشيء الواحد في ارتباط أحدهما بالآخر ارتباطًا يُغْنِي عن الوصل الظاهر، وجملة الوصف الأولي " الَّذِي تُقْنَا لِرُؤْيَتِهِ " تُعْلِي من شأن هذا الصُّمود ، فهو صُمود تتوق النفس السَّويَّة لرؤيته ، فيحفظ عزَّها وكرامتها ، ويُلَبِّي دعوة دينها وعقيدتها ، وكذلك الأمر في وصف البلاء ، فهو بلاءٌ دقَّ أعناقَ الجبابرة ، وأزال سلطانهم عن تلك البلاد الطاهرة ، ثم يعود ليذكِّرنا بما كان يتوعد به " الصَّحَّاف " القوات الغازية فيقول في أسلوب يحمل مشاعر الحُزنِ والأسي: "هَلْ الْغُزَاةُ عَلَي أَسْوَارِكِ[1] انْتَحَرُوا؟" هكذا بجمع الغزاة ، وهو جمع

---

(١) الأسوار : جمع سور ، وهو جدار يحيط بمجموعة من المباني ، ويبنى سميكاً في أسفله، ثم يقل سمكه في أعلاه وذلك ليكون من الصعب على المهاجمين إحداث فتحة فيه أو هدمه ، وفي أعلاه فجوات صغيرة ليكمن ورائه المدافعون ولينظروا من خلال هذه الفجوات الأعداء، وليرموهم منها ، ويكون عرضه في أعلاه كافياً لاختباء المدافعين ولمرورهم بسهولة، وتبنى فوقه أبراج في العادة للمراقبة ولرمي الأعداء، يختلف عددها باختلاف المدن، و باختلاف استطاعة البلدة وما تتخذه من وسائل لحماية نفسها من الأعداء ، وتكون له أبواب تغلق في الليل . (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٠/١٣١) .

يوحي بكثرة عددهم وعتادهم ، وإنما وصفهم بالغُزَاة لأنَّهم أعداء ما جاءوا إلا لنهب ثروات هذه البلاد وكسر شوكتها، والأَسْوَار: جمع سُور: وهو كلُّ ما يُحيط بشيء من بناء ونحوه[١]، وإثبات الأسوار هنا كناية علي وجود حاكم متمكن يمنع العدو؛ لأنَّ المدينة التي لها سور تدل على حاكم متمكن يمنع العدو من أرضه ، والتي بغير سور بضد ذلك[٢]، ويوإلي بين هذه الاستفهامات " أَوْ هَلْ مَنَحْتِهُمْ مِنْكِ النَّيَاشِيْنَا؟ – وَهَلْ لَقُوا عِنْدَكِ النِّيْرَانَ تَحْرِقُهُمْ – أَوْ مَلَكُوا الْجَنَّةَ الْخَضْرَاءَ وَالْعِيْنَا؟"، والنَّيَاشِيْنُ : جَمْعُ نِيْشَان وهو وسام يُعْطَي كجائزة أو تقدير لمن برع في شيء[٣]، وهذا كلُّه جَارٍ علي أسلوب تجاهل العارف ، فالشاعر حزين كل الحُزن علي ما حدث ، لذلك نراه يُفصح عن ذلك فيقول:

لَهْفِي عَلَي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ سَطَّرَهَا * كَفُّ الزَّمَانِ هُنَا إِذْ أَنْتِ تُمْلِيْنَا**

والتلهُّفُ : التَّوَجُّعُ على الفائت بعد الإشراف عليه[٤]، وهو تعبير يوحي بشدة الألم والوجع ؛ لما يخشي علي العراق من بطش هؤلاء الغزاة ، ويحشد الأسلوب العديد من الاستعارات المكنية في محاولة لتبرير هذا الحُزن العميق ، انظر إلى قوله " صَفَحَاتِ الْمَجْدِ " فجعل للمجد صفحات أملتها أيادي أصحاب هذه البلاد ، ثم انظر إلى قوله " سَطَّرَهَا كَفُّ الزَّمَانِ" فقد جعل للزمان كفًّا يُسطِّرُ بها صفحات المجد ، ويتبع ذلك بجملة اسمية تتصدرها " إِذْ " التي هي ظرف للزمان الماضي المبهم مبني على السكون في محل نصب ، ويضاف إلى الجملة الاسمية[٥]، ونراه يُقدِّمُ المسند إليه حال كونه ضميرًا علي خبره الفعلي " أَنْتِ تُمْلِيْنَا " ليفيد تَفَرُّدَ هذه البلاد بتسطير وإملاء صفحات المجد ، وهو ما يعيدنا إلى ما قبل ذلك بأنَّها "أَرْضَ

---

(١) ينظر : لسان العرب " سور " .

(٢) الإشارات في علم العبارات لابن شاهين(ت:٨٧٣هـ) ص٧٠٦ ط: دار الفكر – بيروت غير مؤرخة .

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٣١٣/٣ " ن ي ش ا ن " .

(٤) معجم العين للخليل بن أحمد ٢٧١/١ باب : الهاء واللام والفاء معهما .

(٥) الجني الداني في حروف المعاني ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

الحَضَارَةِ" ، وجمع "صَفَحات" وإضافتها إلى المجد ما يكشف عن تعدد هذه الصفحات بتعدد مظاهر الحضارة فيها ، وعن عظمتها فهي صفحات مجد تفخر بها الأجيال جيلًا بعد جيل .

وفي مفارقة تصويرية للعراق قبل الغزو وبعده يتبع ذلك بقوله : " وَإِلَىٰ يَوْمَ يَطْمِسُهَا بَاغٍ يُدَنِّسُهَا " والضمير في الفعلين راجع إلى صفحات المجد ، والإسناد حقيقي يكشف عن جرائم الغزاة علي مرِّ العصور، والطُّمُوسُ، بالضَّمِّ: الدُّرُوسُ والمِّحَاءُ، والفعل " طَمَسَ " يأتي لازمًا كقولك : طَمَسَ النجمُ: ذَهَبَ ضوؤه، وطَمَسَ الطريقُ إذا عفا ودرس ، ومتعديًّا نحو : طَمَسَ الله بَصَرَه ، وطمست الريحُ الأعلامَ إذا سفت عليها التراب فغطتها به ، وطَمَسَ الشيءَ طَمْسًا شوَّهه ، والطَّمْسُ: اسْتِئْصالُ أثر الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[١] يعني إزالة ضوئها واستوائها مع سائر جرم السماء[٢]، والباغي : الظالم المعتدي والمستعلي والخارج على القانون ، والباغي : الذي يرد الحق مع العلم به[٣]، والدَنَسُ: الوسخ ، وقد دَنِسَ الثوبُ يَدْنَسُ دَنَساً: توسخ ، وتَدَنَّسَ مثله ، ودَنَّسَهُ غيره تَدْنيساً[٤]، وفلان دنس إذا كان خبيث الفعل والمذهب .

ويلحظ دقة الشاعر في انتقاء الألفاظ الدالة علي المعاني المرادة ، فالفعلان " يَطْمِسُهَا – يُدَنِّسُهَا " بصيغتهما يصوِّران فعل هذا الغازي المجرم في جميع تصرفاته ، فهو يطمسُ ويدنِّسُ ويتجدد منه ذلك ، فهو يسعي جاهدًا لطمس كل أثر لهذه الحضارة ؛ ليظهر لهم أنَّه لم يكن عند هؤلاء شيء من علم في هذه الحياة

---

(١) سورة المرسلات الآية ٨ .

(٢) تاج العروس للزَّبيدي ، تح/ مجموعة من المحققين ٢٠٧/١٦ " طمس " ط: دار الهداية .

(٣) لسان العرب ٧٥/١٤ " بغا " .

(٤) الصحاح للجوهري تح/أحمد عبد الغفور ٩٣١/٣ "دنس" ط: الرابعة دار العلم للملايين – بيروت١٤٠٧هـ.

يومئذ، وكأن عهدهم في هذا العالم سيبدأ مع الغزاة ، ويأتي الجار والمجرور" عَلَي الْعِيَانِ "؛ ليصوِّرَ صلف وغطرسة وكبر هذا العدو، وردِّه للحق الواضح مما يكشف استخفافه بأهل هذه البلاد، ثم يتوجه الشاعر بهذا الخطاب العام ، الذي جاء في بنية الأسلوب الإنشائي الأمر " فَقُلْ "، ليعلن بعده هذا التفجُّعُ الذي بلغ مداه في استخدامه لأداة الندبة " وا "؛ ليكون ذلك عذرا للنادب عند السامعين ؛ لأنهم إذا عذروه شاركوه في التَفَجُّع ، فإذا شاركوه في التفجع هانت عليه المصيبة ، فالغرضُ من الندبة الإعلام بعظمة المُصاب[١]، إذ هو مَجْدُ مَاضِيْنَا ، ويُصَعِّدُ من درجة هذا التَّوَجُّعِ والتَّفَجُّعِ بقوله " وَاحَسْرَتَاهُ " والحسرة : بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيرًا لا موضع فيه لزيادة التلهف[٢]، كما أنَّها غَمٌّ يتجددُ لفوت فائدة فليس كلُّ غَمٍّ حَسْرَةً[٣]، ويمكن حمل الكلام علي التعجب ، والمعني : فَيَالَهَا مِنْ حَسْرَةٍ ، أو علي الاستعارة في معنى التهويل والتعظيم لما حدث ، ويأتي الجارُ والمجرورُ" لِأَحْفَادِ الْرَّشِيْدِ " المتعلق بنعت "حَسْرَتَاهُ" ؛ ليكشف به عمن يتلهَّف عليهم ، ولا ينسي أنْ يُتبع ذلك كلَّه ببيان علَّة هذا التوجُّع والتَّلهُّف ليحْظَى الكلامُ بالقبول فيقول : "وَقَدْ سِيْمُوا الْعَذَابَ وَهُمْ سَادُوا الْوَرَي حِيْنَا" ، أي وردوا موارد الردي والهلاك بعد أنْ كانوا أسيادًا للوري، وذلك إمعانًا في بيان شدَّة الحسرة ، ويأتي بيانه في تصوير تلك المفارقة بجملتين خبريتين إحداهما فعلية مؤكدة بأكثر من مؤكد " وَقَدْ سِيْمُوا الْعَذَابَ " وفيها إشارة إلى قوله تعالى ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾[٤]، والأخرى اسمية تقدَّم فيها الضمير المنفصل علي خبره الفعلي" وَهُمْ سَادُوا الْوَرَي حِيْنَا "؛ للتأكيد

---

(١) أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص٢٢٠ .

(٢) التعريفات للجرجاني تح/ جماعة من العلماء ص٨٧ ط: الأولي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ ، قال الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ) : الحَسْرَةُ : أَشَدُّ النَّدَمِ حَتَّى يَبْقَى النَّادِمُ كالحَسِيرِ من الدّوَابِّ الَّذِي لا منْفَعَةَ فيه (تاج العروس ١٣/١١ [حسر]) .

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٧٠ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٤٩ .

علي إثبات ذلك الفعل لهم ، إذ لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نُوي إسناده إلىه[١] .

ويتابع في الإفصاح عن سرِّ شِدَّة توجُّعه وتلهُفه بقوله :

مِنْ بَعْدِ مَجْدٍ وتَارِيْخٍ وَمَفْخَرَةٍ * شَعْبُ الْعِرَاق يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَا**

فبعد أنْ كان العراق رمزًا لكل مقومات الحضارة من : مجد .. تاريخ .. مفخرة ، فإذا به يتحول حاله ، وينقلب أمره علي هذا النحو " يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَا "، والمجد : الأخذ من الشَّرَف والسؤدد ما يكفي[٢] من كرم الفعال وجميل الخِصالِ ، والتاريخ : من أرَّخ وتَارِيخُ كُلِّ شَيْءٍ غَايَتُهُ وَوَقْتُهُ الَّذِي يَنْتَهِي إلىهِ[٣]، والمعني: إلىهم ينتهي الشَّرَفُ ، والمفخرةُ : بفتح الخاء وضمها المأثرة ، وما فخر به[٤]، والإتيان بهذه الأمور منكرة يدلُّ علي عظمتها ، والعطف بينها يُوحي بمغايرتها وتنوعها ، والبيت في جملته كناية عن انقلاب الأمور، وتبدل الأحوال ، إذ المعني : أنَّ شعب العراق بعد أنْ كان يملك كل مقومات الحضارة بمفهومها الصحيح سُلبت منه بهذا الغزو، وأصبح حاله " يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَا "، والتعبير بالمضارع لاستحضار تلك الحالة كأنها تشاهد، وعطف " الهُونِ " علي " الذُّلِّ " يفيد مغايرتهما ، فالذُّلُّ : نقيض العزِّ، وهو الخضوع والاستكانة بسبب سلب عوامل القوة منه ، والهُونُ: الخِزْيُ[٥]، وما يترتب عليه من الاستخفاف والحقارة

---

(١) يقول الإمام/عبد القاهر(ت:٤٧١هـ) :" فإذا قلت: عبدالله فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً: قام، أو قلت: خرج، أو قلت: قدم، فقد علم ما جئت به، وقد وطَّأت له، وقدمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المتهيء له، المطمئن إلىه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأنفى للشبهة وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق.[دلائل الإعجاز، تح/شاكر، ص ١٣٢ الفقرة رقم ١٢٨] .

(٢) لسان العرب ٢٨/١٣ " مجد " .

(٣) لسان العرب ٤/٣ " أرخ " .

(٤) لسان العرب ١٩٩/١٠ " فخر" .

(٥) وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:(فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ) أَي ذِي الْخِزْيِ(لسان العرب٤٣٨/١٣ "هون").

وانعدام الكرامة ، وتقديم " الذُّلِّ " من تقديم السببِ علي المُسبب وقد أدي إلى تمكين القافية ، وتبلغُ المفارقةُ التصْويريةُ مَدَاهَا حين يكشفُ عن حَالِ الغُزَاةِ – بعد كشفه لحال العراق – تلك الحال التي تتناقض مع أصحاب الفطرة السليمة :

وَصَارَ يَنْعَمُ فِي الْخَيْرَاتِ مُرْتَزَقٌ * وَعَرْبَدَ الْعِلْجُ فِي أَرْضِ النَبِيِّيْنَا**

فهذا البيت يصوِّر حال قوات التحالف بعد سقوط بغداد في أيديهم ، وقد جاء في جملتين خبريتين ، الأولي "وَصَارَ يَنْعَمُ فِي الْخَيْرَاتِ مُرْتَزَقٌ" ، وهي جملة فعلية فعلها لازم ، عطفت بالواو التي تفيد المغايرة ، فما قبلها وصف لحال العراق، وهنا وصف لحال قوات التحالف ، وقد فُصِل بين الفعل وفاعله بالجار والمجرور مما أدي إلى تأخير الفاعل لنكرانه وحقارة فعله ، إذ " المُرْتَزَقُ " مَن يحارب في الجيش طمعًا في المكافأة المادية ، وغالبًا ما يكون من الغُرَبَاء، مُسْتَأجَر غير وَطَنِي، والمُرْتَزَقُ : مفرد ، وصيغته اسم مفعول من الفعل " ارتزق " الذي ورد متعدِّيًا بنفسه[1] وجمعه مُرْتَزَقَة ، وهو كلُّ شخصٍ يقومُ بأي عمل بمقابل بغض النظر عن نوعية العمل ، أو الهدف منه ، وغالبًا يطلق علي مَنْ يخدم في القوات المسلحة لبلد أجنبي من أجل المال[2] .

---

(١) في بعض المعاجم القديمة كتاج العروس٢٥/٣٣٦ (رزق)، والحديثة كالمعجم الوسيط ص٣٤٢ (ارتزق).

(٢) وقد استخدمت بلاد فارس وإيونان وروما في الأزمنة القديمة المرتزقة ، وشاع استخدامهم خلال الفترة من القرن الثاني عشر حتي القرن السادس عشر الميلاديين ، فقد استأجر كثير من الحكام آنذاك جنودًا محترفين مدربين لحماية دولهم ، كما أنَّ بعض الحكام ربحوا أموالًا بتأجير جيوشهم لدول أخري للعمل كمرتزقة ، فقد استأجرت بريطانيا جنودًا سموا جنود هسن ؛ لمحاربة السكان الأمريكيين ، وهذا ما قلل من ظهور الجيوش الوطنية إلى درجة كبيرة [معجم الصواب اللغوي د/ أحمد مختار عمر ١/٦٨٢ ط: الأولي عالم الكتب ، القاهرة٢٠٠٨م ، والأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية د: ماجد الصايغ ص ١٨٤ ط: أولي دار الفكر اللبناني ١٩٩٠م] .

وتأتي الجملة الثانية " وَعَـرْبَدَ الْعِلْجُ فِـي أَرْضِ النَبِيِّيْنَا " معطوفة بالواو التي تفيد قصد التشريك في الحكم ، وهو الدلالة علي أنَّ هذه القوات جمعت بين المُرْتَزِق والعِلْج المُعَرْبد ، والفعل "عَرْبَدَ " علي وزن فَعْلَل اللازم ، والعَرْبَدَةُ: سوءُ الخُلُق[١] ورَجُلٌ عِرْبِدٌ وعِرْبِيدٌ ومُعَرْبِدٌ: شِرِّيرٌ مُشارّ، مأخوذ من العِرْبِدَّةِ ، وهي حَيَّةٌ حمراءُ خبيثةٌ[٢]، شبههم بها في الإيذاء ، وقوله " فِـي أَرْضِ النَبِيِّيْنَا " إشارة إلى أنبياء الله تعالى الذين كانوا بأرض العراق[٣] منهم سيدنا آدم ونوح وهود وصالح وذو الكفل وسليمان وأيوب عليهم السلام .

ويختم هذه الفكرة بهذا النداء الذي حُذِفَت أداته " صَحَّافُ "، ويتبعه بهذا الاستفهام " مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟"، ويجيب هو علي هذا التساؤل " عَاثُوا الْفَسَادَ وَصَارَ الذِّئْبُ رَاعِيْنَا" مما يدلُّ علي أنَّ الاستفهامَ هنا لم يكن الغرضُ منه طلبَ الفَهْمِ، وإنما الغرض منه إنكار ما حصل بالبلاد ، والتعجب من سقوط بغداد .

---

(١) الصحاح للجوهري ٥٠٨/٢ " عربد " .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٤٥٨/٢ " عربد " .

(٣) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي المكي ، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ٦٤/١ ط: الأولي دار الكتب العلمية – بيروت١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

المبحث الرابع : الفكرة الرابعة (عودة إلى مخاطبة " الصَّحَّاف") .

٢٥- مَــضَي وَعِيْــدُكَ لَمْ يَعْــبَأْ بِهِ أَحَدٌ * وَأَنْفَذَ الْقَــوْمُ مَا قَدْ أَوْعَدُوا فِيْنَا**

٢٦- يَا هَلْ تَعُودُ؟ وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ كَيْ* يأْتِي فَيَبْعثُ غَافِيْــنَا وَيُحْــيِيْنَا**

٢٧- إِنْ كُنْتَ حَيًّا فَقُمْ لِلْقَــوْمِ تَطْــرُدُهُمْ * وَأَوْفِ بِالْــوَعْدِ يَا خَيْرَ الْمُوَفِّيْنَا**

٢٨- أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَــاتًا يَوْمَ قَصْفِهِمُ * كُنْتَ الْشَّهِيْدَ وَهَذَا مِنْكَ يَكْفِيْنَا[١]**

هذه الفكرة التي تمثل نهاية القصيدة يعود الشاعر فيها لمخاطبة " الصَّــحَّاف" فيذكر أنَّ وعيده للقوات الغازية ذهب في مهب الريح ، بينما نفَّذَت قوات التحــالف هدفها ، ويتمني الشاعر أنْ يعود " الصَّحَّاف"، ويردد أمانيهم ، ويبعث الحياة فيهم ، ويختم القصيدة حين يطلب منه إنْ كان ما زال علي قيد الحياة أنْ يوفي بوعــده ، وإنْ كان قد فارق الحياة في سبيل بلده فهذا أمر يحمد عليه .

والشاعرُ بني البيتَ الأوَّلَ بناءً فعليًّا تنوعت جملُه بين الإثباتِ تارة والنفــي أخري فجملةُ "مَضَي وَعِيْــدُكَ" خبرية مثبتةٌ دلَّت علي ثبوتَ المُضِــيِّ لوعيــده ، وأفادت التَّحَسُّر واشتداد الألم ، كما أنَّها آذنت بنهاية الأمر وأنَّ وعيدَ " الصَّــحَّاف" لقوات التحالف أصبح في خبر كان ، فمن معاني المُضِيِّ الذّهابُ والموتُ ، يقال :" مَضَي الشَّيءُ يَمْضِي مُضِيًّا.. خَلا وذَهَب ... ومَضَي بسبيله : مات "[٢]، والوَعْدُ : العَهْدُ في الخَيْرِ والشَّرِّ، يُقَالُ: وَعَدْتُه خَيْرًا ووَعَدْتُه شَــرًّا ، والوعيــد فــي الشــر خاصة[٣] فهو من التّهدّد ، وتبع جملة الإثبات هذه جملة منفية " لَمْ يَعْــبَأْ بِهِ أَحَــدٌ "، حيث دخلت أداة النفي" لم " علي الفعل المضارع " يَعْبَأ " فأفادت نفي الفعل عــن الفاعل علي جهة القطع ، وهذه الجملة بمثابة التوكيد المعنوي لجملة الإثبات قبلها ؛ لأنَّ مُضِيِّ الوعيد يستلزم عدم المبالاة أو الاعتداد به ، وهو ما نصَّت عليه جملــة

---

(١) ديوان بغداد صبرًا للشاعر / عصمت رضوان، تقديم أ.د/ علي أحمد الخطيب، ص ٥٧ وما بعدها ، ط: أولي ، دار الجامعة ٢٠٠٤م ، رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٥٦٤م .

(٢) لسان العرب ١٣٠/١٣ " مَضَي " .

(٣) الصِّحاح للجوهري ٥٥١/٢ " وعد" .

النفي ، وتقديم الجار والمجرور" به " علي الفاعل " أحد" أفاد التخصيص ، وفُصلت جملة النفي عمَّا قبلها لوقوعها منها موقع الصِّفة أو الحال .

ولَمَّا كان الأسلوب مَبْنيًّا علي التضاد جاء الشطر الثاني ليوضح التقابل بين المعني في الشطرين ، وهو ما استدعي وجود الوصل بينهما ، وجملة " وَأَنْفَذَ الْقَوْمُ..." مثبتة جاءت وفق النسق الطبيعي لترتيب الجملة الفعلية ، حيث الفعل " أَنْفَذَ " الذي تعدي بالهمزة ، وتدور دلالته حول معني حقّقَ وأَمْضَي ، وقد أُسْنِد إلى فاعله " القَوْم " إسنادًا حقيقيًّا مما أفاد ثبوت الفعل للفاعل علي جهة الحقيقة ، واتمامًا للفائدة جاء المفعول " مَا قَدْ أَوْعَدُوا فِيْنَا " مكونًا من الموصول وصلته ، تلك الصِّلة المؤكدة بالماضي وقد التحقيقية ، وإنما جاء التعبير بالموصول وصلته مع حذف العائد في موضع المفعول– سقوط نظام حزب البعث – لنكرانه ، كما يُلحظ التعبير في جملة الصلة بـ " أَوْعَدُوا " دون ذكر الباء إذ الأصل : ما أوعدوا به ، وعدل إلى ذِكْرِ " فِي" كي لا يَتَمَحَّض الكلام للشَّرِّ؛ لأنَّ العربَ إذا أدخلت الباء هنا لم يكن إلا في الشَّرِّ، قال العُدَيلُ بنُ الفَرْخِ:

أَوْعَدَنِي بالسِّجْنِ والأَدَاهِمِ *** رِجْلِي فَرِجْلِي شَثْنَةُ الْمَنَاسِمِ[1] .

فالقوات الغازية ادَّعت لمجيئها الإصلاح والحرية ورفع الظلم .

ويبلغ التحسُّرُ والتأسف مداه حين نراه يتلهَّف وينادي " الصَّحَّاف" بقوله :

يَاهَلْ تَعُودُ؟ وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ كَيْ* يَأْتِي فَيَبْعَثُ غَافِيْنَا وَيُحْيِيْنَا**

فقوله " يَا هَلْ " ليس كلمة واحدة بل كلمتان: يا النداء ، وهل الاستفهامية ، والمنادى محذوف ؛ لدلالة السياق عليه ، وهو مسلك في لغة العرب حميد ، فـ " من سُنن العربِ الإضمارُ، ويكونُ على ثلاثةِ أضرُب: إضمارُ الأسماء، وإضمارُ الأفعال، وإضمارُ الحروف ، فمن إضمارِ الأسماء قولهم : ألا يَسْلَمِي ، يريدون ألا

---

(١) إصلاح المنطق لابن السكِّيت، تح/ محمد مرعب ص٢١١ ط: أولي دار إحياء التراث العربي١٤٢٣هـ ، ولسان العرب ٤٦٣/٣ (وعد) والمعني : أوْعَدَني بالسجن، وأوْعَدَ رِجلي بالأداهم، ثم قال: رِجْلي شَثْنَةٌ، أي قويَّةٌ على القيد.

يا هذه اسلمي، وفي كتاب الله جلّ ثناؤه ﴿أَلَّا يَسجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخرِجُ ٱلخَبۡءَ﴾[1] بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا[2] .

ومقصود الشاعر: يا " صحَّاف" هل ترجع ، وتسمعنا صوتك الذي من أثره علينا كيت وكيت ، فيكرر الاستفهام مبالغة في التمني ، وإظهارًا لشدَّة التلهُّف والتحسُّرِ، والرُّجْعَى-بضم الراء – مصدر رَجَعَ على زنة فُعْلَى مثل البُشْرَى ، وألفه للتأنيث على سبيل القياس والرُّجُوعُ والمَرْجِعُ والرُّجْعَى بمعنى واحد[3]، والجار والمجرور " لِصَوْتِكَ " متعلق بـ " رُجْعَي "، ولا ينسي الشاعر أنْ يكشف عن سرِّ هذا التلهُّف لرجوع " الصَّحَّاف"، والرغبة في سماع صوته فيقول : كَيْ يَأْتِي فَيَبْعَثُ غَافِيْنَا وَيُحْيِيْنَا ، فيأتي بـ كي التعليلية داخلة علي المضارع الدال علي الاستقبال ، يتبعه مضارع آخر معطوف بالفاء الدالة علي السرعة في إيجاد الأثر "فَيَبْعَثُ "، والإسناد في " يَبْعَثُ .. يُحْيِيْنَا " مجاز عقلي علاقته السببية ، وتظهر بلاغته في إبراز أثره ، والغافي : النائم قليلا ، والإغفاءةُ : النومة الخفيفة[4]، وتُخْتَمُ القصيدةُ بهذين البيتين :

إِنْ كُنْتَ حَيًّا فَقُمْ لِلْقَوْمِ تَطْرُدُهُمْ * وَأَوْفِ بِالْوَعْدِ يَا خَيْرَ الْمُوَفِّيْنَا**

أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَاتًا يَوْمَ قَصْفِهِمُ * كُنْتَ الْشَّهِيْدَ وَهَذَا مِنْكَ يَكْفِيْنَا**

---

(١) سورة النمل من الآية ٢٥ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص١٧٦ ط: الأولى دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٨هـ .

(٣) لأنَّ فُعْلَى يكون اسما كالشُّورَى والرُّجْعَى ، ويكون صفة كالحسنى والسُّوأى في تأنيث الأحسن والأسوأ (ينظر: البديع في علم العربية لمجد الدين بن الأثير ،تح: د. فتحي أحمد علي الدين ٥٤/٢ ط: الأولي – جامعة أم القرى- مكة المكرمة ١٤٢٠هـ ، و شرح المفصل لابن يعيش ،تح/د: إميل بديع يعقوب ٣٨٤/٣ ط: أولي دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠١م) .

(٤) المعجم الوسيط ٦٥٧/٢ " غفا ".

ويقوم البناء التركيبي فيهما علي المفارقة التعبيرية القائمة علي المطابقة المعنوية يعاضدها الشرط وحسن التقسيم ، أمَّا المطابقة المعنوية فتظهر في الجمع بين معنيين الثاني منهما ليس مضادًا للأول ، بل يستلزم الضد ، أو يتسبب عن الضد(١)، والمعني الأول "كُنْتَ حَيًّا " والثاني " صِرْتَ رُفَاتًا " فالمعني الثاني يستلزم الضد وهو الموت ، أو يتسبب عنه ، وأمَّا الشرط فواضح من خلال قوله : " إِنْ كُنْتَ حَيًّا فَقُمْ لِلْقَوْمِ تَطْرُدُهُمْ – أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَاتًا يَوْمَ قَصْفِهِمُ كُنْتَ الْشَّهِيْدَ " وقد حذف أداة الشرط " إنْ" من الثاني ؛ لدلالة الأول عليه ، ومما يلاحظ أنه أتبع جملة الشرط الأولي بجملة اشتملت علي نوعين من أساليب الإنشاء الطلبي هما : الأمر في" وَأَوْفِ بِالْوَعْدِ "، والنداء في" يَا خَيْرَ الْمُوَفِّيْنَا "، ومما حسَّن الربط بين الأسلوبين اشتماله علي رد العجز علي الصدر(٢)– بصورة المكرر بين "أَوْفِ.. الْمُوَفِّيْنَا" ، حيث وقع اللفظ الأول في أوّل الشّطْر الثاني بينما وقع اللفظ الثاني في آخِرِ البيت – بينما أتبع جملة الشرط الثانية بجملة اسمية دالة علي ثبات معناها ، وهي قوله " وَهَذَا مِنْكَ يَكْفِيْنَا" ، وأمَّا حُسْنُ التقسيم الدال علي عارضة المتكلم فقد جاء في قوله " إِنْ كُنْتَ حَيًّا ... أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَاتًا " فقد ذَكَرَ حالان من أحوال المخاطب ، وأتبع كلَّ حال بما يناسبها ، وهذان الأمران يتوزَّع عليهما شأن المخاطب ولا ثالث لهما .

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي ، وعروس الأفراح ، ومواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ٤/٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي تح/ د:عبدالحميد هنداوي ص٥٤١ ط: الأولي دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ، والمطول للتفتازاني ص ٤٥٠ ط: المكتبة الأزهرية للتراث .

المبحث الخامس : الدراسة النقدية للقصيدة .

أولا من حيث الإيقاع:

لا يوجد في الاصطلاح تعريف جامع للإيقاع؛ حيث عرّفه كل ناقد أو كل أديب من وجهة نظره متفقين في بعض الأمور مختلفين في غيرها، ومن ثم رأينا اختلافا شديدا في تحديده خاصة عندما يستعمل في مجال الدراسات الأدبية[١]،وهو في اللغة "مِنْ إِيقاعِ اللحْنِ والغِناءِ وَهُوَ أَن يُوقِعَ الأَلحانَ ويبنيها" [٢]، والمراد به في علم الموسيقي: النقلة علي النغم في أزمنة معدودة المقادير والنسب[٣]، وقد تناول ابن طباطبا(ت:٣٢٢هـ) الإيقاع في قوله: "وللشِّعر المَوْزون إِيقاعٌ يَطْربُ الفَهْمُ لصَوابِه وَمَا يَرِدُ عَلَيْهِ من حُسْنِ تَركيبهِ واعتدالِ أَجزائهِ"[٤]، فارتبط الإيقاع عند "ابن طباطبا(ت:٣٢٢هـ)" بالشعر الموزون لا يتعداه إلى غيره ، وهو مقياس لجودة النص الشعري ، ومصدر من مصادر الطرب والارتياح ، كما أن الإيقاع عنده ليس مرادفا للوزن الشعري ، بل أعم وأشمل فالوزن عنصر من عناصره[٥]، واستعمل القدماء لفظة الوزن بديلًا عن الإيقاع، وهو ما فعله القرطاجني(ت:٦٨٤هـ) عند حديثه عن الإيقاع[٦]، أمّا في العصر الحديث فقد أوضحوا تعريف الإيقاع على أنّه

---

(١) البنية الإيقاعية في شعر البحتري ، د/ عمر خليفة إدريس ، ص ٢١ ،ط: الأولي منشورات جامعة قاريونس –بنغازي ٢٠٠٣م .

(٢) لسان العرب ٤٠٨/٨ (وقع) .

(٣) مفاتيح العلوم للخوارزمي ، تح/ إبراهيم الأبياري ، ص٢٦٦ ، ط: الثانية دار الكتاب العربي .

(٤) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تح/ عبد العزيز ناصر المانع ، ص٥٣ ط: مكتبة الخانجي – القاهرة .

(٥) شعر الحداثة دراسة في الإيقاع د/ محمد علي علوان ، ص٢٣ ط: أولي دار الكتب العربية، غير مؤرخة .

(٦) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٧٢ ، ط: الثالثة الدار العربية للكتاب – تونس ٢٠٠٨م .

التتابع والتواتر ما بين حالتي الصمت والكلام؛ حيث تتراكب الأصوات مع الألفاظ والانتقال ما بين الخفة والثقل ليخلقا معًا فضاء الجمال[١] بمعنى آخر إنّ الإيقاع غير مختص عند الحداثيين بالشعر، بل هو عامل مشترك ما بين الشعر والنثر على حد سواء ، وذكر "د/ سيد البحراوي" تعريفاً للإيقاع قال فيه: إنّ الإيقاع هو تتابع للأحداث الصوتية في الزمن؛ حيث يكون على مسافة زمنية متساوية أو حتى متجاوبة؛ أي أنّ الإيقاع هو تنظيم لأصوات اللغة، وهو أكبر من الوزن؛ حيث إنّه يشمل البنية العروضية والبنية الصوتية والتركيبية[٢].

والإيقاع ينقسم إلى قسمين:

أولاً: الإيقاع الداخلي : وهو الموسيقى الداخلية للقصيدة نفسها، وهي تحوي على أدق خلجات النفس التي يرسلها الشاعر إلى المتلقي بصورة انسيابية سهلة، تجعل من عالمهما واحدًا عن طريق الكلمات[٣] وعرّفه "د/عبد الرحمن الوجي" بأنّه: "ذلك الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة بما تحمل في تإلىفها من صدى ووقع حسن، وبما لها من رهافة ودقة تإلىف وانسجام حروف"[٤] وللإيقاع الداخلي مجموعة من الأقسام، أبرزها ما يأتي:

١ــ التكرار: حيث إنّ للتكرار مجموعة من الوظائف من أبرزها لفت الانتباه

---

(١) موسيقي الشعر الجديد ، د/ شكري عياد ص ٦٢ ، ط: أولي دار المعرفة – القاهرة ١٩٦٨م .

(٢) العروض وإيقاع الشعر العربي د/ سيد البحراوي ص:٩٧ ط:الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م ، والإيقاع الشعري في ديوان "آيات من كتاب السهو" لفاتح علاق أنموذجا ، مذكرة ماجستير للباحثتين خديجة جدنا و يمنية العبادي ص ١١، مكتبة كلية الآداب – جامعة أحمد دراية – الجزائر ٢٠١٧م .

(٣) الأسس الجمإلىة للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د/ ابتسام أحمد حمدان ، مراجعة / أحمد عبدالله فرهود ص ٣٥ ، ط: الأولي دار القلم العربي – حلب ١٩٩٧م .

(٤) الإيقاع في الشعر الغزلي ، د/ عبدالرحمن الوجي ص٧٤ ط: الأولي دار الحصاد – دمشق ١٩٨٩م .

والتأكيد على المعنى ونحو ذلك، وهو يكون في الحرف وفي الكلمة وفي النظم وفي الأسلوب، ففي الحرف نجد الشاعر اختار حرف النون المفتوحة روياً ، حيث شغل هذا الحرف حيزا كبيرا بين أصوات الحروف في القصيدة ، وأتي في القافية علي صورة النون الممدودة المفتوحة التي يليها حرف الألف ، ليعطي شعورا بالحزن علي ما حل بالبلاد من العدوان من قوي التحالف ، خاصة عند حديث الشاعر عن ثنائية الماضي والحاضر حين يقول :

لَهْفِي عَلَي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ سَطَّرَهَا * كَفُّ الزَّمَانِ هُنَا إِذْ أَنْتِ تُمْلِيْنَا**
وَإِىوْمَ يَطْمِسُهَا بَاغٍ يُدَنِّسُهَا * عَلَي الْعِيَانِ فَقُلْ : وَا مَجْدَ مَاضِيْنَا**
وَاحَسْرَتَاهُ لِأَحْفَادِ الرَّشِيْدِ، وَقَدْ * سِيْمُوا الْعَذَابَ وَهُمْ سَادُوا الْوَرَي حِيْنَا**
مِنْ بَعْدِ مَجْدٍ وَتَارِيْخٍ وَمَفْخَرَةٍ * شَعْبُ الْعِرَاق يُلَاقِي الذُّلَ وَالْهُونَا**

ففي تتابع حرف النون ومده في صلب القصيدة ليؤكد الهدف الذي من أجله كتبت القصيدة ، وهذا الاستخدام لهذا الحرف في كل الأبيات ساعد علي زيادة الإيقاع ، وهذا يظهر نبرة الحزن السائد والأثر النفسي عند الشاعر ما بين الأثر الخفي الذي نلمحه والأثر الظاهر من خلال الألفاظ .

** كذلك تكرّر الضمير (نا) في أبيات الشاعر من أول القصيدة إلى آخرها ؛ لدلالته علي الفاعلين، وفي هذا إشارة إلى قرب العلاقة بين الشاعر وبين أهل العراق العربي، إذ كانا يتشاركان الأحداث، والذكريات، بين الماضي والحاضر، حيث ينتج عن تكرار الضمير إيقاع تناغمي يوقظ الدلالة، ويبعث فيها الحراك الجمالي، فهو أهم جانب في الصور الشعرية ومصدر الجذر والحركة فيها التي تعتبر ركيزة أساسية، وبذلك يعتبر تكرار الضمير (نا) أحد صور التلاحم الفني في قصيدة الدكتور عصمت رضوان، إذ دلل الشاعر من خلاله على إحساسه وتضامنه مع أبناء جلدته وعروبيته ، ومن شأن هذا التكرار للضمير (نا) أن يرفع من وتيرة الإيقاع والموسيقى الصوتية؛ إذ تعدد تكرار الضمير في غالبية القصيدة بطريقة فنية ذات إيحاء عالٍ، وقد تعمّد الشاعر استخدام هذا الأسلوب الذي يعتبر عفويًا؛ من

أجل زيادة تماسك النص وانسجامه وتلاحمه من الناحية الفنية والذي يدل على قوة العلاقة بينه وبين تلكم البلد العربي وأهله الأحرار .

** ومن تكرار الكلمات داخل أبيات القصيدة كقوله (نلمسه – لمسه) ، (غاب – فغابت) ، (وعيدك – أوعدوا) (الوعود– العهود) (أوف – الموفينا) .

*** ومن تكرار الجمل كقوله : في تشبيه خطابات الصحاف (كأنه البلسم – كأنه الماء –كأنه نسمات– كأنه المسك)، وفي الاستفهام (أين العهود– أين الوعود– أين البواسل – أين الفوارس– أين المحارق– أين القبور– أين الصمود) وقوله في الاستفهام الإنكاري (أكان قولك أحلاما– أكان مقدمهم غزوا – أكان همهم الإعمار).

٢ــ **ومن ذلك التناسب** أيضا : وهو مراعاة النظير وهو الجمع بين الأمور المتناسبة[١] ومن ذلك : التناسب بين الألفاظ كقوله (النور– دياجينا) (الجرح– يشفينا) (الماء – ظمأ) (العذب– رياه–صادينا) (اللفح– رمضاء) (المسك– فاحت– روائحه) (البواسل– الفوارس) (تلقي– تحمي) (العرض– الدين) (غزوا– سيطرة) (إصلاحا– تزيينا) (بطن الأرض– مدفونا) (الصمود– البلاء) (منحتهم– النياشينا) (النيران– تحرقهم) (الجنة الخضراء– العينَا) (صفحات– سطرها– تملينا) (مجد– تاريخ) (الذل– الهونا) (ينعم– خيرات) (رفاتا– قصفهم– الشهيد).

ومن التناسب بين الجمل المعطوفة بعضها علي بعض : كعطف الجملة الفعلية علي فعلية مثلها : ــ فعل ماض كقوله: (غاب ... فغابت ... وخيم) (مضي وعيدك...وأنفذ)(صار ينعم... وعربد العلج)

ــ فعل مضارع كقوله: (يحيينا... ويبعث) (يأتينا... فيسقي) (ترسلها ...فتطرد) .

ــ فعل أمر كقوله :(أبلغ ... وبلِّغ) (فقم ... وأوف) .

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي تح: د/هنداوي ص٥٣٤ ط: الأولي دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠٠٠م ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي تح/ نصرالله حاجي ص ١٧٥ ، ط: أولي دار صادر بيروت ٢٠٠٤م.

٣ــ حسن الابتداء وبراعة الاستهلال: أبدع الشاعر في توجيه السامع نحو محتوى القصيدة ولخصّ الأفكار الواردة فيها ببساطة، فقد قدم صورة لما كان عليه من اجتماع الناس لسماع خطابات (الصحاف) ووعده ووعيده للتنكيل بقوي الشر والعدوان ، ونقل تطورات آخر الأحداث ، ولكن ما لبث أن تغير حالهما بعد ذلك ولم يعد من قواته ثم مقاومة تذكر ، وكل ذلك من خلال صور تقابلية واضحة وموجزة :

قَدْ كَانَ صَوْتُكَ فِي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا * وَيَبْعَثُ النُّورَ يَسْرِي فِي دَيَاجِيْنَا**

****

وَإِذْ يَوْمَ غَابَ فَغَابَتْ شَمْسُنَا مَعَهُ * وَخَيَّمَ الْحُزْنُ فِي شَتَّي نَوَاحِيْنَا**

أَكَانَ قَوْلُكَ أَحْلَامًا مُوَرَّدَةً * أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْنَا؟**

****

صَحَّافُ مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟ * قُلْ. لَا تَدَعْنَا لِفِكْرٍ كَادَ يُرْدِيْنَا .**

ثانيا: الإيقاع الخارجي: ويشتمل الإطار الموسيقي الخارجي علي ما تحدثه الأوزان من إيقاعات متوإلية تحقق نوعا من الموسيقا التي تساهم في سهولة تلقي الشعر والانفعال به ، ويشتمل أيضا علي القوافي التي تحدث أثرا بالغا في نفس المتلقي، وأهمية الوزن والقافية بالنسبة للشعر كبيرة ، فهما جزآن لا ينفصلان عن بعضهما و"ركنان أساسان من أركان القصيدة العربية ، أو قاعدتان لا يقوم بناؤها إلى عليهما"[١] وهما حجر أساس تقوم عليهما الموسيقي الخارجية للقصيدة العربية ، إضافة إلى ذلك دورهما في إظهار وحدة الأبيات وأثرهما في ذوق السامع كبير جدا[٢]، ويُقسم الإيقاع الخارجي إلى قسمين رئيسين هما: الوزن والقافية، وتفصيلهما

---

(١) علم العروض والقافية د/ عبدالعزيز عتيق ص ٢٨ ، ط: ثانية دار النهضة العربية – بيروت ١٩٧٢م .

(٢) المستوي الإيقاعي وتشكيل القصيدة(دراسة نقدية في نونية ابن زيدون) د/جيهان أحمد إبراهيم ، بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بجرجا العدد الثاني والعشرون لعام ٢٠١٨م ، الجزء الخامس ص ٤٥٥٤ .

فيما يأتي:

١ــ الوزن: ووزن البيت من الشعر أو تقطيعه هو تقسيمه إلى مجموعات صوتية ، وهو تجزئته بمقدار من التفاعيل –أي الأجزاء– التي يوزن بها ، بعد معرفة بحره علي وجه الإجمال ... هذا والأجزاء التي يتركب من مجموعها نظم الشعر من أي بحر كان ، وتسمي أركانا وأمثلة وأوزانا وتفاعيل[١]، وقد اختار الشاعر في قصيدته بحر البسيط التام[٢] لاتساع تفعيلاته ، وقدرتها علي التعبير عن حالة الألم التي يعانيها :

قَدْ كَانَ صَوْتُكَ فِـي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا * وَيَبْعَثُ النُّـرَ يَسْرِي فِي دِيَاجِيْنَا**

0/// 0//0/0/ 0/// 0///0/ * 0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/**

فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ * مُتْفَعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ**

والملاحظ أن القصيدة من بحر البسيط التام الذي عروضه تام مخبون[٣]وضربه تام مقطوع[٤]، وهذا البحر له ميزة السهولة والتنوع والسعة والقوة والوضوح والتأثير والخلود[٥]، وقد وفق الشاعر اختيار هذا البحر لمعاني القصيدة ،

---

(١) النغم الشعري عند العرب ، د/ عبدالعزيز شرف و د/محمد عبدالمنعم خفاجي ص ٦٣ ، ط: أولي دار المريخ – الرياض ١٩٨٧م .

(٢) والتام: هو البيت الذي استوفي جميع أجزائه بلا نقص ، وكانت عروضه وضربه مماثلين لحشوه في الأحكام التي تلحق الحشو من تغيير .

(٣) وهو حذف الثاني الساكن فتصير (فاعلن /0//0) إلى (فعلن///0) .

(٤) وهو حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله ، فتصير (فاعلن) (فاعلْ) أي (فعْلن) .

(٥) فالسهولة لسهولة إيقاعه وجمال موسيقاه ، وهذا يجعله من أسهل البحور الشعرية علي الفهم والتذكر ، والتنوع والسعة من حيث أنه يمكن الشاعر من استخدام أشكال مختلفة من التفعيلات ، وهذا يمنحه حرية التعبير عن مختلف المعاني والأفكار ، أما القوة والوضوح فهو يمكن الشاعر من التعبير عن مشاعره القوية وأفكاره العميقة بوضوح ودقة وهذا يجعله مناسبا للشعر الخطابي والاجتماعي عامة ، أما التأثير فهو يمكن الشاعر من التأثير في مشاعر القارئ وإثارتها وهذا يجعله مناسبا للشعر الوطني والحماسي ، أما الخلود فقد نسجت علي منواله العديد من القصائد الخالدة وهذا دليل علي التأثير في القراء عبر الزمن. (بتصرف من مقال "البحر البسيط وأهم القصائد عنه" منشور علي موقع النجاح شبكة المعلومات الدولية "إنترنت" برابط مباشر https://ila.io/6a52Wy).

حيث استطاع من خلاله حكاية المشهد والمحنة التي لحقت بهذا البلد العربي في تلك الفترة ، وتضامن كافة الشعوب العربية معه ، بل وتلهفها علي سماع الأخبار في ظل التعتيم الإعلامي المقصود ، كاشفا عن مطامع غزاة الغرب –أمريكا وحلفائها– في نهب خيرات البلاد العربية وأهما البترول، والتمتع بالخيرات ، من خلال الاستفهام الذي جاء لأغراض مجازية متعددة ، وقد التزم الشاعر الوزن من البداية حتي النهاية ، حيث جاءت القصيدة في شكل عمودي لا تحيد عنه .

٢ــ القافية : اختلف النقاد في تعريف القافية، فاختار الأخفش أنّها آخر كلمة من كل بيت، بينما ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أنّها آخر ساكنين في آخر البيت مع ما بينهما من متحرك مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول[١] .

أما عن قافية القصيدة التي نحن بصدد الحديث عنها فهي قافية مطلقة[٢] مردوفة[٣] واختار الشاعر النون المفتوحة رويا ، وقد وفق في هذا الاختيار؛ لأن النون حرف مجهور يدل علي شدة المعاناة النفسية ، وتحريكها بالفتح أشبه بصوت البكاء والاستغاثة ، وكأن هذا البلد يستغيث مما حل به جراء هذا العدوان الغاشم ، وهل هناك ألم أمر من سلب المجد ، والاستعباد ونهب الثروات؟ ، وموسيقي القافية لا تنحصر في الشكل فقط ، أو المقاطع الصوتية أو الحركات والحروف ، وإنما تتدخل في صميم المضمون الشعري ، فهناك قواف تجيء في موضعها وتزيد المعني جلاءً[٤] ، ولذا طالب النقاد العرب القدامى الشاعر أن يختار من القوافي أعذبها ،

---

(١) محاضرات في العروض والقوافي ، د/ إبراهيم رضوان ، ص ٦٤ ، ط: مكتبة دار الفكر بجرجا ٢٠٠٧م .

(٢) وهي ما تحرك رويها .

(٣) القافية المردوفة وهي ما وُصل رويها بالمد كقصيدة الدكتور/عصمت ، وقول الشاعر : ونحن الحاكمون إذا أطعنا * ونحن العازمون إذا عصينا**

(٤) موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور د/ صابر عبد الدايم ص ١١٨ ط:ثالثة مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٣م ، والعمدة لابن رشيق تح/محمد محيي الدين عبدالحميد ١٣٦/١ ط: خامسة دار الجيل بيروت ١٩٨١م .

وأشكلها للمعني الذي يروم بناء الشعر عليه[١] ، وحين ننظر في قصيدتنا التي معنا، نجد قوافيها متمكنة في مواضعها، كما هو الحال في لفظة **(دَيَاجِيْنَا .. صَـادِيْنَا .. وَادِيْـنَا)** ولا تجد في قوافي القصيدة قافية غير مفيدة أو قلقة فـي مكانهـا ، أو لا يستدعيها المعني ، أو لا فائدة منها سوي كونها قافية فحسـب ، أو أن كلمتهـا لا يقبلها الذوق ، أو أنها لم تفد معني جديدا ، بل كلها دقيقة في استعمالها ولها أثرهـا في المعني ، ومما زاد القافية عنده حسنا وجمالا استخدام الإرصاد[٢]، وهو إنما يقع ممن يتعاطى التمكن في صناعة النظم ، عظيم البراعة في ذلك ، مقتدرا علي كثير من الأساليب[٣] ، هذا وقد التزم الشاعر بوحدة الروي من بدايـة القصـيدة إلـى نهايتها.

ثانيا : من حيث الألفاظ والأسلـوب :

١- استهل الشاعر قصيدته بهذه الجملة الخبرية: (قَـدْ كَـانَ صَوْتُكَ فِـي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا)

والأصل في الجملة الخبريّة مُثْبتةً كانت أو مَنْفِيَّةً أنْ يؤتى بها خالِيـةً مـن المؤكّداتِ، حينَ لاَ يكونُ حالُ المخاطَب يَسْتَدْعِي تأكيدَ الخبر لَهُ، وذلـك إذا كـان خالِي الذّهْنِ، ليْسَ في نفسِه ضدَّ مُقَدِّم الخبرِ عواملُ شَكٍّ أو إحجامٍ عن قَبُولِ أخباره،

---

(١) ينظر : عيار الشعر لابن طباطبا ص ١٣٣ ط: دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) وسماه صاحب الصناعتين بالتوشيع وقال : سمى هذا النوع التوشيح، وهذه التسمية غيـر لازمة بهذا المعنى، ولو سمى تبيينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكـلام ينبـئ عـن مقطعه ، وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه (الصناعتين لأبي هلال العسكري تـح/ علي محمد البجاوي ومحمـد أبـو الفضـل إبـراهيم ص٣٨٢ ط:المكتبـة العنصـرية – بيروت١٤١٩هـ)

(٣) العمدة لابن رشيق ٣٢/٢ ، والطراز للعلوي ٤٣٢/٢ ط: الأولـى المكتبـة العنصـرية – بيروت١٤٢٣ هـ .

ويَحْسُنُ في ابْتِدَاءِ الإِخْبار بِالْخَبرِ إيرادُهُ غيْرَ مُقْتَرِنٍ بأيَّةٍ مؤكِّداتٍ ، فلما أكَّد الشاعر هذا الخبر بالفعل الماضي "كَانَ" و "قد" التحقيقية خالف ما استقر عليه البلاغيون .

٢- منذ الأبيات الأولي من القصيدة يصف الشاعر قوات التحالف بـــ : الْعُلُوجُ - الْمُضلِّيْنَا- الْأَوْغَادُ - غَاصِبَنَا- الْغُزَاةُ - بَاغٍ يُدَنِّسُهَا - مُرْتَزِقٌ - عَرْبَدَ الْعِلْجُ - الذِّئْبُ رَاعِيْنَا ، ثم نراه في نهاية القصيدة يقول : إِنْ كُنْتَ حَيًّا فَقُمْ لِلْقَوْمِ تَطْرُدُهُمْ .

فيصفهم بـــ " القوم "، وهم الرجال خاصة ، لنسبة الصفات السابقة إلىهم، ولعل السبب في ذلك ورود هذا اللفظ في خطابات "الصحاف" أو لأجل الوزن، وهي في الأصل لا تقتضي مدحًا ولا ذمًا، وإن لم تكن بدرجة ما قبلها من أوصاف .

٣- يقول الشاعر في البيت الأول : قَدْ كَانَ صَوْتُكَ فِي التِّلْفَازِ يُحْيِينَا... وليس مجرد الصوت يُحدث هذه الأفعال : يُحْيِينَا - يَبْعَثُ النُّورَ... وإنما يتأتى ذلك من المعاني التي اشتملت عليها تصريحاته القولية ، لذلك نراه بعد ذلك يقول :

أَكَانَ قَوْلُكَ أَحْلَامًا مُوَرَّدَةً * أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْوِيْنَا؟**

٤- في البيت العاشر أتي الشاعر بكلمتي " البواسل " و" الفوارس" جمعًا لكلمتي : باسل وفارس ، وقد " ذكر النحاة أنه لا يجمع على صيغة " فَوَاعِل" إلا ما كان صفة لمؤنث نحو: كاتبة ، فيقال فيها: كواتب ، أو اسمًا لمؤنث نحو: حائض وحوائض، أو صفة لمذكر، أو لمؤنث غير عاقل نحو: صاهل وشاهق، أو كان اسمًا على وزن فوْعَل، نحو: جَوْهَر، أو فوْعَلة نحو: صَوْمَعَة، أو على فَاعَل مثل: خَاتَم... وما جاء بخلاف ما ذكروا حكموا عليه بالضرورة إذا كان في الشعر، أو حكموا عليه بالشذوذ في غير ذلك، وتأولوه... وهو عند المبرد جائز في الشعر؛

لأنَّ جمعَ " فَاعِل" على " فَوَاعِل" أصل، لكنهم خَصُّوا " فَوَاعِل" بجمع المؤنث، لئلا يلتبس بجمع المذكر"[١] .

والحقُّ أنَّ " جمع فاعل على فواعل في صفة المذكر العاقل موضع تعاورته الأقلام بالاستدراك "[٢]، قديمًا وحديثًا[٣]، فـ " للمذكر أبنية كثيرة، فلا بأس بتخصيص بناء " فَوَاعِل " بجمع المؤنث، فإذا جاء في الشعر جمع " فاعل" المذكر عليه، فهو رد إلى الأصل، وهو جائز كثيراً في الشعر خاصة ، قال الأحوص الأنصاري:

وَلَولا الَّذي قَد عَوَّدَتنا خَلائِفٌ * غَطاريفُ كانَت كَاللُيوثِ البَواسِلِ**[٤]

وقال البحتري : **نُقَارِعُهمْ بالمَوْتِ دُونَ بنَاتِهِمْ *** مُقَارعةَ الأُسْدِ الغِضَابِ البَوَاسِلِ**[١]

---

(١) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء على ديوان ابن أبي حصينة –ماجستير- للباحث/ هاني محمد عبد الرازق، ص٥٣٠ وما بعدها، مخطوط بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق .

(٢) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء على ديوان ابن أبي حصينة ص ٥٣١ .

(٣) قال " القرطبي (ت:٦٧١هـ)":" فاعل لا يجمع على فواعل إلا في حروف مختصرة لا يقاس عليها، وهى: فارس و فوارس ، وهالك وهوالك ، و خالف و خوالف"، وقال ابن خالويه:" ليس في كلام العرب صفة جمعت على " فواعل" إلا أربعة أحرف: فارس وفوارس، وهالك وهوالك ، وخاشع وخواشع ، وناكس ونواكس." وزاد علي بن حمزة- صاحب التنبيهات-: طوائح وعوارم ، وزاد " ابن القطاع ": حاجب وحواجب ، وصاحب وصواحب ... ، وزاد الجواليقي على ما سبق: حارس و حوارس... وتبعهم في ذلك المحدثون ، فقد استدرك د/ جابر المبارك : رافد وروافد ، وباسل وبواسل ... وهكذا كثرت الاستدراكات حتى قاربت ستين كلمة ، وذلك جعل بعض المحدثين يقول بجواز جمع فاعل على فواعل. [يراجع : المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء على ديوان ابن أبي حصينة ص ٥٣١ وما بعدها] .

(٤) ديوان الاحوص ص١٦٩ و الشعر والشُّعراء لابن قتيبة ٤٩٨/١ ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ .

وقال ابن الرومي : **من بقرٍ مبثوثة الحبائل *** للأُسدِ في آجامها البواسِل**[٢]

قال "السيوطي (ت:٩١١هـ)":" فأمَّا فَوَارِس فإنما جُمع ؛ لأنه شيء لا يكون في المؤنث فلم يُخَفْ فيه اللَّبس"، وقد ورد ذلك في أشعار العرب ، قال عنترة :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وأَذْهَبَ سُقْمَها *** قِيْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[٣]

وقال زَيْدُ الْخَيْلِ[٤] :

وَيَرْكَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيهاَ فَوَارِسٌ*** بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الأَبَاهِرِ وَالْكَلَى[٥]

يقول " ابنُ حجر(ت:٨٥٢هـ)":" والمشهورُ في " فَوَاعِل" جَمْع " فَاعِلَة " فإنْ كان من صفة النساء فواضح ، وقد تحذف الهاء في صفة المفرد من النساء ، وإنْ كان من صفة الرجال فالهاء للمبالغة ، يقال : رَجُلٌ خَالِفَةٌ لا خيرَ فيه ، والأصلُ في جمعه بالنون... ولا تجمعُ النحاة ما كان من فَاعِل نعتًا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث ، ولم يأت ذا إلا في حرفين : فَارِس وفَوَارِس ، وهَالِك وهَوَالِك ، أمَّا الأوَّلُ فإنه لا يستعملُ في الفرد فأمن فيه اللبس ، وأمَّا الثَّانِي فلأنه جرى مجرى المثل، يقولون هَالِكٌ في الهَوَالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال، قلتُ فظهرَ أنَّ الضابطَ في هذا أنْ يؤمن اللبس أو يكثر الاستعمال ، أو تكون الهاء للمبالغة أو

---

(١) الحماسة للبحتري(ت:٢٨٤هـ) تح : د. محمَّد إبراهيم حُوَّر – أحمد محمد عبيد ص: ٢٤١ ،ط: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .

(٢) ديوان ابن الرومي بشرح ذ/أحمد حسن بسج ٢٦١/٢ ط: ثالثة دار الكتب العلمية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

(٣) ديوانه ص ١٧٩ بتحقيق : محمد سعيد مولوي ط: المكتب الإسلامي ــ القاهرة ١٩٦٤ م .

(٤) في ديوانه ص ٧٣ بتحقيق : أحمد مختار البرزة ، ط: أولي دار المأمون للتراث ــ دمشق ١٩٨٨م .

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي تح/ فؤاد علي منصور ٧٨/٢ ط: أولي دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

يكون في ضرورة الشعر"[١]، ومن هذا يظهر أنَّ ابنَ حجر يُجِيْزُ جمع "فَاعِل" على " فَوَاعل " في صفة المذكر العاقل، لكن بضوابط ، وعلي كلٍ فالجمعان وردا في معاجم اللغة وإن كانا علي غير قياس في جمع (فاعل) المذكر .

٥- دقة الشاعر وتملكه لناصية اللغة في استخدام العطف بـ (أو) بدلا من (أم) في قوله :

هَـلْ الْغُزَاةُ عَلَي أَسْوَارِكِ انْتَحَـرُوا؟ * أَوْ هَلْ مَنَحْتِهُمْ مِنْكِ النَّيَاشِيْنَا؟**
وَهَلْ لَقُوا عِنْدَكِ النِّيْرَانَ تَحْرِقُهُمْ * أَوْ مَلَكُوا الْجَنَّةَ الْخَضْرَاءَ وَالْعِيْنَا؟**

واستخدامه لـ (أم) في البيت السابع :

أَكَانَ قَوْلُكَ أَحْـلَامًا مُـوَرَّدَةً * أَمْ كَانَ لِلخَطْبِ تَخْفِيْفًا وَتَهْـوِيْـنَا؟**

جريا علي القاعدة النحوية في أنه لا يعطف بـ (أم) إلا بعد الهمزة التي بمعني سواء، أو همزة الاستفهام التي يُطلب بها وبـ (أم) التعيين، وفي ذلك يقول ابن مالك (ت:٦٧٢هـ) :

وَ "أَمْ" بِهَا اعْطِفْ إِثْرَ هَمْزِ التَّسوِيَهْ[٢] *** أَوْ هَمْزَةٍ عَنْ لَفْظِ "أَيٍّ" مُغْنِيَهْ[٣].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني تح/ محمد فؤاد عبد الباقي ٣١٥/٨ ط: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .

(٢) "وأم بها اعطف إثر همز التسوية" وهي الهمزة الداخلة على جملة في محل المصدر، وتكون هي والمعطوفة عليها فعليتين، وهو الأكثر، نحو: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية واسميتين كقوله : ولست أبالي بعد فقدي مالكًا *** أموتي ناء أم هو الآن واقع؟

ومختلفتين، نحو: ﴿... سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾الآية ، وإذا عادلت بين جملتين في التسوية فقيل: لا يجوز أن يُذكر بعدها إلا الفعلية، ولا يجوز "سواء علي أزيد قائم أم عمرو منطلق" فهذا لا يقوله العرب، وأجازه الأخفش قياسًا على الفعلية.(شرح الأشموني على ألفية ابن مالك٣٧٥/٢ ط:أولي دار الكتب العلمية بيروت– لبنان١٤١٩هـ– ١٩٩٨م) .

(٣) "أو" بعد "همزة عن لفظ أي مغنيه" وهي الهمزة التي يُطلب بها وبـ "أم" التعيين، وتقع بين مفردين غالبًا، ويتوسط بينهما، ما لا يسأل عنه، نحو: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾

٦- التناقض الذي وقع فيه الشاعر ، ففي البيتين الخامس والعشرين والـذي يليه يقول :

مَضَي وَعِيْـدُكَ لَمْ يَعْـبَأْ بِهِ أَحَـدٌ * وَأَنْفَـذَ الْقَـوْمُ مَـا قَدْ أَوْعَدُوا فِيْنَا**

يَا هَلْ تَعُودُ؟ وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ كَيْ* يَأْتِي فَيَبْعَثُ غَافِيْنَا وَيُحْيِيْنَا**

وهذا يؤذن بانتهاء الأمر، وتسلُّم قوات التحالف زمام البلاد ، ثم نراه يعود فيقول:

إِنْ كُـنْتَ حَيًّا فَـقُمْ لِلْقَوْمِ تَطْـرُدُهُمْ * وَأَوْفِ بِالْوَعْدِ يَا خَيْرَ الْمُوَفِّيْنَا**

أَوْ كُنْتَ صِرْتَ رُفَاتًا يَوْمَ قَصْفِهِمُ * كُنْتَ الْشَّهِيْدَ وَهَذَا مِنْكَ يَكْفِيْنَا .**

ولعل الاختفاء المفاجئ للنظام والقوات العسكرية العراقية دون أدني مقاومة تذكر، جعل الشاعر في حالة ريب وذهول من الحدث ، فبدا منه هذا الشك في مصير "الصحاف" وقواته العسكرية .

٧- في قوله : ... وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ كَيْ يَأْتِي فَيَبْعَثُ غَافِيْنَا وَيُحْيِيْنَا

الغافي : النائم ، ويناسبه الإيقاظ لا البعث ، وعطف " يُحْيِيْنَا " علي " يَبْعَثُ غَافِيْنَا" من الترقي الذي تقتضيه البلاغة... حيث صوَّر الثبات العميق ، والنوم الثقيل بالموت .

٨- التكرار المتنوع ... فنجد علي سبيل المثال :

أ – تكرار أداة التشبيه " كأنَّ "، في وصفه لصوت " الصَّحَّاف " انظر:

كَأَنَّهُ البَلْسَمُ السِّحْـرِيُّ.... كَأَنَّهُ الْمَاءُ يَأْتِـيْـنَـا عَـلَي ظَمَأٍ....

كَأَنَّـهُ نَـسَـمَـاتُ الصَّـيْفِ .... كَـأَنَّـهُ الْمِـسْكُ .

ب- تكرار الاستفهام بأداته " أَيْنَ "، فقد جاء ذلك ثماني مرات – انظر:

أو يتأخر عنهما، نحو: ﴿...وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ وبين فعليتين، كقوله:

"وقمت للطيف مرتاعًا فأرقني * فقلت أهي سرت أم عادني حلم؟**

إذ الأرجح أن "هي" فاعل بفعل محذوف، واسميتين، كقوله :

لعمرك ما أدري، وإن كنت داريًا * شعيث بن سهم، أم شعيث بن منقر؟**

الأصل: أشعيث، فحذفت الهمزة والتنوين منهما.(شرح الأشموني ٢/٣٧٦) .

أَيْنَ الْعُـهُـودُ... أَيْنَ الْـوُعُـودُ... أَيْنَ الْمَحَارِقُ... أَيْنَ الْـقُـبُـورُ... أَيْنَ الْبَوَاسِلُ... أَيْنَ الْفَوَارِسُ... أَيْنَ الْصُّمُودُ... أَيْنَ الْبَلَاءُ – و بـ " هَـلْ " سـت مرات، انظر:

هَـلْ الْغُزَاةُ عَلَي أَسْوَارِكِ انْتَحَـرُوا؟ – هَلْ مَنَحْتِهُمْ مِنْكِ النَّيَاشِيْنَا؟ – هَـلْ لَقُوا عِنْدَكِ النِّيْرَانَ تَحْرِقُهُمْ – هَلْ تُعْطِيْنَ غَاصِبَنَا حَبْلَ الْقِيَادِ؟ – يَاهَلْ تَعُودُ؟ وَهَـلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ – وبالهمزة ثلاث مرات ، انظر: أَكَـانَ قَـوْلُكَ أَحْـلَامًـا مُـوَرَّدَةً – أَكَـانَ مَقْـدُمُهُمْ غَـزْوًا وَسَيْطَرَةً – أَهَذَا طَبْعُ أَهْلِيْنَا؟ – وبـ "مـا" مرتين في قوله : مَا فَعَلَ الْأَوْغَادُ فِي بَلَدِي؟

٩- التنوع في الأساليب بين الإنشائية تارة والخبرية أخري ، مـع ظهـور الاستفهام المشعر بالحيرة وشدة الحُزن ظهورًا ملفتًا ، كـذلك رأينـا التنـوع فـي أساليب التحسر والتوجع ما بين الندبة والتمني ، والأساليب الخبريـة ، انظـر: لَهْفِي عَلَي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ .... وَاحَسْرَتَاهُ لِأَحْفَادِ الْرَّشِيْدِ .... وَا مَجْـدَ مَاضِـيْنَا... يَاهَلْ تَعُودُ؟ وَهَلْ رُجْعَي لِصَوْتِكَ ... مَضَي وَعِيْـدُكَ لَمْ يَعْـبَأْ بِهِ أَحَـدٌ .... أَنْفَـذَ الْقَـوْمُ مَـا قَدْ أَوْعَدُوا فِيْنَا.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التحليلية البلاغية لقصيدة " رِسَالَةٌ إلى الصَّحَّاف " للشاعر د/عصمت رضوان ، يمكن رصد النتائج التالية :

١- هذه القصيدة تعتبر تأريخًا لحدث عظيم في الشرق الأوسط، يمثل في جوهره الصراع بين محور الشرِّ في العالم (أمريكا وحلفائها)، والشرق الأوسط المغلوب علي أمره من قِبل أنظمه عربية مكَّنَت محور الشرِّ من منطقتهم للحفاظ علي تلك الأنظمة .

٢- جاءت ألفاظ القصيدة سهلة واضحة ، لا تحتاج في فهم معانيها إلى الرجوع لقواميس اللغة ، كما أنَّها بعيدة عن السطحية الظاهرة التي تغضُّ من قائلها.

٣- استخدام الشاعر ألفاظ أصيلة في اللغة ، ضاربة بجذورها في العربية ، انظر : الأَوْغَاد – العُلُوج – للخَطْب – مُرْتَزِق

٤- قدرة الشاعر الفائقة في تنوع الأساليب بين الخبرية تارة ، والإنشائية أخري ، وإنْ لوحظ كثرة الأساليب الإنشائية مما يتناسب مع موضوع القصيدة والحالة النفسية للشاعر.

٥- استخدم الشاعر بعض الألفاظ المرتبطة بمخترعات حديثة مثل :

التِّلْفَاز – البَلْسَمُ السِّحْرِيُّ – النَّيَاشِيْنَا – قَصْفِهِمُ

٦- أدت الصُّور البلاغية دورها في الإفصاح عن مقصود الشاعر، فكان للتَّشْبِيهُ والمجاز والكناية ، بجانب التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل ... أثر بالغ في إظهار المعاني المرادة بكل سهولة واقتدار.

٧- جاءت المحسنات البديعية عفوية غير متكلفة ولا مصطنعة ، حيث تطلبها السياق ، واستدعاها المقام فأدت دورها علي الوجه اللائق . والله تعالى أعلم .

أهم المصادر والمراجع

*القرآن الكريم ، جل من أنزله سبحانه .
*الإشارات في علم العبارات لابن شاهين ط: دار الفكر – بيروت غير مؤرخة .
*إصلاح المنطق لابن السكِّيت، تح/ محمد مرعب ط: دار إحياء التراث العربي١٤٢٣هـ.
*الإيضاح للخطيب القزويني ، تح: د/ خفاجي ط: الثالثة دار الجيل – بيروت .
*الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية د: ماجد الصايغ ط: أولي دار الفكر اللبناني ١٩٩٠م .
*أدوات الإعراب ظاهر شوكت البياتي ط المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت – لبنان ١٤٢٥هـ .
*أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تح/ د. فخر صالح قدارة ط: دار الجيل – بيروت ١٩٩٥م .
*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ط: دار الفكر – بيروت – لبنان ١٩٩٥م .
*البديع في علم العربية لمجد الدين بن الأثير ط: جامعة أم القرى– مكة المكرمة ١٤٢٠هـ .
*البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ .
*تاج العروس للزَّبيدي ، تح/ مجموعة من المحققين ط: دار الهداية .
*تحرير التحبير ، تح/ حفني محمد شرف ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .
*التعريفات للجرجاني تح/ جماعة من العلماء ط: الأولي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .
*التناص وقلق التأثر لدى الشاعر المعاصر، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠١٧م .
*الجني الداني للمرادي تح د/ فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل دار الكتب

العلمية– بيروت١٩٩٢م .
*الحماسة للبحتري تح : د. محمَّد إبراهيم حُوَّر – أحمد محمد عبيد،ط: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث١٤٢٨هـ .
*دإلىة دريد بن الصمة تحليل بلاغي أ.د/ علي عيسي، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد(٢٧) ٢٠٠٨م.
*ديوان بغداد صبرًا للشاعر/عصمت رضوان، تقديم أ.د/ علي الخطيب ط: دار الجامعة ٢٠٠٤م .
*السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية] د/عبد الملك مرتاض ط:دار اتحاد الكتاب العرب .
*سمط النجوم العوإلى في أنباء الأوائل والتوإلى للعصامي ط: دار الكتب العلمية – بيروت١٤١٩هـ .
*شرح أدب الكاتب لابن قتيبة للجوإلىقي ، بتقديم /مصطفى صادق الرافعي ط: دار الكتاب العربي بيروت.
*شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ط:أولي دار الكتب العلمية بيروت– لبنان١٤١٩هـ– ١٩٩٨م
*شرح تسهيل الفوائد لابن مالك ، تح:د.عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختون ط: دار هجر١٤١٠هـ .
*شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش ،تح/د: إميل بديع يعقوب ط: دار الكتب العلمية– بيروت ٢٠٠١م .
*شروح التلخيص ط: دار السرور – بيروت .
*الشعر والشُّعراء لابن قتيبة ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ .
*الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ط: الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .
*الصحاح للجوهري تح/أحمد عبد الغفور ط: الرابعة دار العلم للملايين – بيروت١٤٠٧هـ.
*الصناعتين للعسكري تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط:المكتبة العنصرية ١٤١٩هـ.

*الطراز للعلوي ط: الأولى المكتبة العنصرية – بيروت١٤٢٣ هـ .
*العراق ومائدة اللئام د/ يوسف بن صالح الصغير، مقال منشور بمجلة البيان الكويت ١٤٢٨هـ .
*العمدة لابن رشيق تح/محمد محيي الدين عبدالحميد ط: خامسة دار الجيل بيروت ١٩٨١م .
* فتح الباري لابن حجر العسقلاني تح/ محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .
*الفروق اللغوية للعسكري تح/ محمد إبراهيم سليم ط: دار العلم والثقافة – القاهرة – مصر .
*القاموس المحيط ط: مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ١٤٢٦هـ .
*قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ط: الخامسة دار العلم للملايين – بيروت .
*كتاب دلائل الإعجاز تح/ شاكر مطبعة المدني بالقاهرة و جدة السعودية ١٤١٣هـ .
*الكناش في فني النحو والصرف تح :د/ رياض بن حسن الخوام ط: المكتبة العصرية – بيروت .
*لسان العرب لابن منظور ط: ثالثة دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ .
*اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ تح: إبراهيم الصاعدي ط: الجامعة الإسلامية السعودية ١٤٢٤هـ .
*مجمع الأمثال للميداني تح/ محمد محيي الدين ، ط: دار المعرفة – بيروت .
*المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تح:د.هنداوي ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١هـ .
*مختار الصحاح للرازي ، تح/ يوسف الشيخ محمد ط: المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٠هـ .
* المزهر للسيوطي تح/ فؤاد علي منصور ط: أولي دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
*المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة ، رسالة ماجستير .

*المصباح المنير للفيومي ط: المكتبة العلمية – بيروت .
*المطول لسعد الدين التفتازاني ط: المكتبة الأزهرية للتراث .
*معجم العين للخليل تح/ د:مهدي المخزومي، د:إبراهيم السامرائي ط: دار ومكتبة الهلال .
*معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/أحمد مختار عمر ط: الأولي – عالم الكتب١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
*المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الناشر: دار الدعوة .
*المغرب في ترتيب المعرب للمُطَرِّزِىّ ط: دار الكتاب العربي غير مؤرخة .
*مفتاح العلوم للسكاكي تح/ د:عبدالحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٠هـ .
*المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي ط : الرابعة – دار الساقي١٤٢٢هـ .
*مقاييس اللغة لابن فارس تح: عبد السلام هارون ط: دار الفكر١٣٩٩هـ .
*الموافقات للشاطبي ، تح: مشهور حسن ط: الأولي دار ابن عفان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
*موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور د/ صابر عبد الدايم ط:مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٣م.
*نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي تح/ نصرالله حاجي ط: أولي دار صادر بيروت ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٧٥
٢-	Abstract	٤٧٦
٣-	المقدمة	٤٧٧
٤-	التمهيد	٤٧٨
٥-	*أولًا : ترجمة الشاعر (أ.د/ عصمت رضوان) :	٤٧٨
٦-	** ثانيًا : ترجمة الصَّحَّاف :	٤٨٠
٧-	*** ثالثًا : نَصُّ القصيدة	٤٨١
٨-	**** رابعًا : مناسبة القصيدة .	٤٨٢
٩-	***** خامسًا : تصنيف القصيدة فنيًّا.	٤٨٣
١٠-	المبحث الأول: الفكرة الأولي أثر صوت "الصحاف" في مؤتمراته الصحفية علي الوطنيين من أبناء الشعوب العربية وأثر غياب ذلك .	٤٨٤
١١-	المبحث الثاني : الفكرة الثانية(الحيرة والدهشة بين تصريحات" الصَّحَّاف" وما آلت إليه الأمور)	٤٩١
١٢-	المبحث الثالث : الفكرة الثالثة (العراق بين الماضي والحاضر).	٥٠٣
١٣-	المبحث الرابع : الفكرة الرابعة (عودة إلى مخاطبة " الصَّحَّاف") .	٥١١
١٤-	المبحث الخامس : الدراسة النقدية للقصيدة .	٥١٥
١٥-	الخاتمة	٥٢٩
١٦-	أهم المصادر والمراجع	٥٣٠
١٧-	فهرس الموضوعات	٥٣٤

تم بحمد الله